العنوان:	الإستعارة في الخطاب السياسي
المصدر:	أعمال ندوة: قراءات في الخطاب السياسي
المؤلف الرئيسي:	بوتكلاي، لحسن
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الناشر:	جامعة ابن زهر بأكادير - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مختبر اللغة والمجتمع والخطاب
مكان انعقاد المؤتمر:	المغرب - أكادير
رقم المؤتمر:	1
الهيئة المسؤولة:	جامعة أبن زهر بأكادير - كلية الآداب والعلوم الإنسانية و مختبر اللغة والمجتمع والخطاب
الصفحات:	497 - 546
رقم MD:	905733
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الخطاب السياسي، علم اللغة السياسي، لغة التواصل السياسي، اللسانيات الحديثة، الاستعارة المعرفية
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/905733

الاستعارة في الخطاب السياسي

لحسن بوتكلاي

تقديم

يستعمل السياسيون اللغةَ للإقناع، أو للتغرير أو هما معاً؛ وهذا المعطى البدهي حَدَا ببيتر شيلتون إلى تحديد الخطاب السياسي بأنه مقدرة الفاعل السياسي على تطويع اللغة واستخدامها. فاللغة السياسية- نقصد هنا لغةَ الشخصيات العامة ولغة الإعلام- تضطلع بأدوار خطيرة وحاسمة، إذ هي التي تُشَكِّلُ إلى حَدٍّ كبير الواقعَ السياسي الذي يتفاعل معه أغلب المواطنين[1]. إن الممارسة الخطابية السياسية المتداولة، أي التعابير التي يوظفها السّاسَةُ في وصف الوضعيات والمشكلات والرهانات، تُحَدِّد ما يدركه المواطنون عن واقعهم الاجتماعي والسياسي.

لقد كانت العلاقة بين اللغة\ الخطاب والسياسة وثيقةً منذ القدم، وازدادت وثاقتها في العصر الحاضر؛ فالفعل في السياسة " كان هو الذي يجر اللغةَ إليه جراً، فهي أبَدَ الدهر محكومةٌ به، ولكن الوضع قد تغير، وتوشك الأدوار أن تنقلب فيه أحياناً"[2]، حيث غدت اللغةُ صانعةً للفعل السياسي ومحققةً لحيثيات إنتاجه[3] من خلال تشكيل فضاءات النقاش والتوجيه والدعاية. ولا تتحقق هذه الأهدافُ إلا بآلياتٍ متظافرة (الكلمات والتراكيب والأساليب والاستعارات)، معززة باستراتيجيات تأخذ منطلقاتها من

1- Gingras, A-M. (1996), Les métaphores dans le langage politique, In *Politique et sociétés*, n° 30, p. 159.

2- عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط. 1، 2007، ص. 15.

3- نفسه، ص. 11.

الثقافة السائدة. بهذا المعنى حدد شيلتون الخطاب السياسي بأنه نتاج عمليات ذهنية فردية وجماعية[4]. والاستعارة جزء محوري لا يمكن الاستغناء عنه من تلك العمليات. لهذا حق لها أن تتصدر مشهدَ البلاغة السياسية في العديد من الدراسات.

إن القول بحضور الاستعارات في اللغة وملازمتها لها قائمٌ كذلك في الخطاب السياسي؛ وهو مجال يَعْكِسُ، في مصطلحاته وتراكيبه وبلاغته، التوتر بين الحفاظ على علاقات السلطة القائمة أو تغييرها، وبين الاستراتيجيات المعتمدة في اتخاذ القرار العمومي وحل المشكلات. بل يذهب ريجيزل إلى أن للعديد من المؤسسات السياسية وأسماء الفاعلين السياسيين - في اللغة الإنجليزية واللغات الغربية عموماً- جذور استعارية (مثلا الحكومة والبرلمان والوزير والوزارة)[5].

تبعا لهذا المعطى الأوَّلي يمكن القول إن الاستعارة تحظى من بين كل الميكانيزمات المختلفة للتواصل السياسي، بقدرة على تشكيل المفاهيم وصياغة المصطلحات؛ وبذلك تأسر التخييل وتغريه، وتُسَهِّلُ إدراك الواقع وفهمه، لكنها تُوَجَهُهُما عن طريق فرض أبعاد جديدة على ذلك الواقع بإعادة تقطيعه ومَقْوَلَته. إذاً فلها، بالإضافة إلى جانب قيمتها البلاغية، قيمة معرفية حيث تسمح بترحال المفاهيم بمصطلحات Schlanger Judith ، وقيمة إقناعية، لأن اختيار استعارة قد يكون حاسماً في التبليغ والتوضيح، وقد يكون عاملاً مساعداً على التأثير والتضليل والتعمية. بصيغة أخرى وأوجز، الاستعارة آلية من آليات التقديم أو سوئه.

4- Chilton, P. (2004), Analyzing Political Discourse: Theory and Practice. London and New York: Routledge, p. 50.

5- Reisigl, M. (2009), Rhetorical Tropes in Political Discourse, In Concise Encyclopedia of Pragmatics, Second Edition, Editor Jacob 1 Mey, University of Southern Denmark, p. 883.

إن الاستعمال المتواتر لاستعارات بعينها في وصف الحياة السياسية قد يكون خطيراً، ولا بد أن تترتب عليه نتائج، لأنها تضع الأحداث السياسية في عوالم رمزية ذات قوة تأثيرية كبيرة. تقول Anne-Marie Gingras في هذا الصدد إن " الخطابات والصور عن الأحداث السياسية، واللغة السياسية بالمعنى الواسع، هي التي توجد في قلب تجارب أغلبية المواطنين وليس الأحداث نفسها"[6].

لهذه الاعتبارات النظرية المحضة، وللإشكالات التي صارت تثيرها مسألة تدني اللغة السياسية في المغرب، اخترنا تحليلَ الاستعارات وإبرازَ بنياتها ومعانيها موضوعاً لهذه الدراسة مستنيرين بهذه الأسئلة: ما موقع الاستعارة في الخطاب السياسي المغربي وما وظائفها؟ وما الاستعارات المتواترة فيه وما المنابع التي تنهل منها؟ ولماذا تتكرر استعارات معينة دون غيرها؟ وهل من علاقة لذلك بالخلفيات الإيديولوجية؟ وما آثار ذلك التكرير في الوعي السياسي لدى المواطنين؟

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن هذه الأسئلة، من خلال تتبع بعض العبارات الاستعارية المتداولة في الخطاب السياسي الإعلامي، منطلقين من كون الاستعارات الرائجة في هذا الخطاب تكشف عن آلياته واستراتيجياته، وعن مرتكزات النسق الاجتماعي والثقافي الذي يقوم عليه.

و اقتناعاً منا بأن من مهام الباحث في اللسانيات اليومَ، إلقاء نظرةٍ نقديةٍ على الخطابات السياسية الإعلامية السائرة التي تعج بالكلمات والصور التي تشرِط طوعاً أو كرهاً، فكرَ المواطنين وممارساتِهم الخطابية وغيرَ الخطابية، ولكون اللسانيات النقدية تسعى إلى جعلنا واعين بميكانيزمات التلاعب التي تسند هذه الخطابات من أجل تحررنا؛ استعنّا في إنجاز هذه الدراسة بالنظرية الاستعارية المعاصرة والتحليل النقدي للخطاب. فالاستعارة حاضرة دائماً في اللغة والفكر والخطاب، ويمكن أن تُستعمل كأداة

6- Gingras, A-M.(1996), op. Cit, 159- 160.

نقديـة بقصـد وبـدون قصـد[7]. إجرائيـاً، وظفنـا النظريـة الأولى في تحليـل العبـارات الاستعارية، من أجل تحديد التصورات الاستعارية الكامنة في الخطاب السياسي الإعلامـي المغربي، واستثمرنا بعض مقولات التحليل النقدي للخطاب في استكشاف العلاقة بين تلك التصورات الاستعارية والنسق الاجتماعي والثقافي.

قبل البدء في تحليل بعـض الـنماذج مـن العبـارات الاسـتعارية المستخلصـة مـن خطابات سياسية إعلامية مغربيـة مواليـة للحكومـة، أو معارضـة لهـا [سندرسـها بـدون تمييز[8] لأن هدفنا هنا هو استخلاص التصورات الاسـتعارية مـن جهـة، ولأن الاستكشـاف الأوّلي الذي قمنا به أبان عن التشابه في العبارات الاستعارية الموظفـة لسـبب سنوضـحه في حينه]، يبدو من المستحسن التذكير بـبعض المفـاهيم الرئيسـة التـي تعـود إلى مجـال النظرية المعرفية للاستعارة[9]، وبالفرضيات التي تَنْطَلِقُ مِنْها.

7- Maalej, Z. (2007), Doing critical Discourse Analysis witth Contempary Theory of Metaphor: towards A Discourse Model of Metaphor, in Cognitive Linguistics in Critical Discourse Analysis: Application and Theory, edited by Christopher Hart and Dominik Luke, p. 134.

8- الأمثلـة التـي سـنوردها في القسـم التحليـلي مـأخوذة مـن جرائـد ومجـلات تختلـف في انتماءاتهـا الإيديولوجية والسياسية (حزبية وغير حزبية، موالية للحكومـة أوغـير مواليـة). بيـد أننـا وجـدنا أن العبارات الاستعارية فيها تحيل على المجالات المصدر نفسها. لهذا أوردنا الأمثلة بـدون الإحالـة عـلى مستعمليها. ويمكن للقارئ الكريم أن يتصفح الجرائد الوطنية اليومية والأسـبوعية ليتأكـد مـن هـذا المعطى.

9- فيما يخص الأسس النظرية للسانيات المعرفية التي تنهل منها النظرية المعاصرة للاستعارة، لن نخوض فيه هنا، لضيق المقام، فلها صلات بنظريـات عديـدة مثـل أطـر فيلمـور والنحـو المعـرفي للانكـاكير والفضاءات الذهنية لفوكونيي. لذا نحيل للمزيد من الاطـلاع عـلى: الأزهـر الزنـاد: نظريـات لسـانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط. 1، 2010.

1- الاستعارة من منظور معرفي

1-1- الاستعارة التصورية: لايكوف وجونسون

اعْتَبَر التصورُ الكلاسيكي الاستعارةَ صورةً بلاغيةً، وحلْيةً أسلوبيةً تروم إغناء النص الراقي؛فهِي لدى بعض متبني هذا المنظور، وسيلةٌ لغويةٌ تسمح، عن طريق النقل، بوصف بعض التماثلات الموجودة قبلياً بين شيئين في العالم، ولدى بعضهم الآخر انحرافٌ عن معيار اللغة الحقيقية؛ ومن ثم فليس لها أية أهمية معرفية تُذْكر، إنما دورها ينحصر في الخطاب البلاغي والجمالي[10]. وقد نجم عن هذا التصور الاستبدالي للاستعارة أن أُعْتُبِرتْ رؤيةُ التشابهات موهبةً يمتلكها بعض الناس (الأدباء والشعراء تخصيصاً)، وجُعِلَتْ مشيراً دالاً على العبقرية والإلهام. تحكم هذا التصور زمناً طويلاً إلى أن تَصَدَّعَتْ فيهِ شقوقٌ، وانهدمت أركانٌ، بعد أن دحضت اللسانيات المعرفية منطلقاته، وبينت أوجه القصور فيه.

يرى واضعو النظرية المعرفية أن الاستعارة في المقام الأول ابتكارٌ للمعنى وأداة معرفية ذات قدرة استكشافية تُمكِّن من مَقْوَلَةِ التجارب الإنسانية. فهي وسيلة لفهم الواقع وإدراكه وخلقه، وليست مجرد وصف له[11].

فالاستعارة بحسب اللسانيين المعرفيين جزءٌ من السيرورات المعرفية التي تُسْهِمُ في النشاط اليومي الذي يقوم به الإنسان من أجل فهم الأوضاع. وأكثر من ذلك إن للنشاط الذهني ذاته أساساً استعارياً، فالعقل، وَفْقَهُم " يستند إلى الأساس الجسدي الذي يُدْخِل في الاعتبار مختلفَ المظاهر التصويرية، وخصوصا الأشكال المرتبطة بالاستعارة والكناية والتخييل. فالتصوير بأشكاله المختلفة وأنماطه المتعددة يُعَدُّ، بهذا

10- محمد مفتاح، مجهول البيان، ط. 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1990، ص. 48- 49.

11- نفسه، ص. 48- 49.

المعنى، آلية مركزية من الآليات الضرورية في اشتغال بنية العقل، ولا يمثل أبداً مظهراً ربضياً ملحقا بالمحددات السطحية"[12].

وتجدر الإشارة إلى أن النظرية المعرفية للاستعارة، في الواقع، نظرياتٌ متعددة ودقيقة تختلف في طبيعة التحليل الإجرائي وفي كيفية التعامل مع الظواهر الاستعارية[13]. لكن هذه النظريات تشترك كلها في اعتبار الاستعارة آليةً دلالية- معرفية أساسية تحركها التجربة. وقد شغل لايكوف وجونسون بتحرير هذا المعنى وتحقيقه في أكثر من موضع من كتابهما " الاستعارات التي نحيا بها"، يقول عبد المجيد جحفة في تقديم ترجمته: "ينطلق لايكوف وجونسون من مفهوم أساس لبناء نظريتهما الاستعارية هي أن المفاهيم المجردة والتصورات متجسدة أساساً، استنادا إلى هذا التصور فإن الذهن البشري جسدي بالأساس[14].فمبدؤها العام هو الانطلاق من استعارية النسق التصوري، حيث تربط بين مختلف المجالات التصورية تبعاً للتجارب الخاصة ذات الطبيعة الفيزيائية والاجتماعية والثقافية، مما يفرض ضرورة معرفة الخطاطات الذهنية الثاوية خلفها.

1-1-1- خصائص الاستعارة

تُعَرّفُ الاستعارةُ إجمالاً، في هذا المنظور بأنها إسقاط بين فضاءين أو مجالين تصوريين: أي تحويلُ مَعْنَى عن طريق التناسب بين مجال تجريبي ملموس (مجال مصدر) ومجال مجرد (مجال هدف) تُسْقَطُ عليه خصائص الأول، فيَفْهَمُ من خلاله.

12- أحمد العاقد، المعرفة والتواصل عن آليات النسق الاستعاري دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط. 1، 2006، ص. 39.

13- نفسه، ص. 66.

14- جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارة التي تقتل، ترجمة عبد المجيد جحفة، عبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. 1، 2005، ص. 10.

وسنرى- أثناء عرض أسس نظرية المزج التصوري- أن فوكونيي وتورنير يضيفان فضاءين آخرين، لكن ذلك لا يغير هذا التعريف تغييراً جذرياً، وإن عدله واستدرك عليه. فلدى هؤلاء الـمُنَظِّرين جميعاً، حينما يُطْلق مصطلح الاستعارة فهم يقصدون التصور الاستعاري، لا المعنى اللغوي العادي، ولا المعنى الاصطلاحي البلاغي، وإنما بمعنى أغنى وأعقد، إنه يعني الأطر والنماذج الاستعارية. والنموذج الاستعاري طريقة لبنينة معرفتنا بمجال معين (المجال الهدف) بأن ننقل تصوراته ومفاهيمه وعلاقاته من مجال آخر موجود (المجال المصدر) يكون مألوفا عندنا"[15].

أهم نتيجة تترتب على التعريف أعلاه أن الاستعارة آلية معرفية تُوظَّف باستمرار في اللغة والفكر والسلوك، بما يكون لها من تجليات لغوية و\ أو غير لغوية في حياتنا وفي السياسة والاقتصاد والإشهار والأدب. فَبِمَ نُفَسِّرَ هذا الحضور الدائم؟

ما دامت المفاهيمُ المستقلةُ والمكتفية بذاتها دلالياً نادرةٌ، إن لم نقل منعدمة، فهي في حاجة إلى الاستعارة في مَفْهَمَتِهَا. وتتضمن هذه المفاهيم: الفضاءات، والأشياء، والجواهر، والماهيات والأوعية. بالإضافة إلى أن هذه المفاهيمَ نفسَها التي تعتبر مستقلة دلاليا، يمكن أن تُفْهَمَ كذلك بشكل استعاري. وهذا ما يسمح بتواتر الاستعارة وامتدادها وتعنقدها في الخطاب[16].

بهذا التصور الراديكالي، أخرج اللسانيون المعرفيون الاستعارة من سجن اللغة[17]، فهي لم تعد لديهم ظاهرة لغوية ناتجة عن عملية استبدال أو انزياح عن معنى حرفي؛

15- نفسه، ص. 6.

16- انظر تحديد سيمنو ص 61- 76 للتجليات النصية للاستعارة في الخطاب: الاستعارة في الخطاب، ترجمة عماد عبد اللطيف وخالد توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط. 1، 2013، ص. 61- 76.

17- للمزيد من التوسع انظر محمد صالح البوعمراني، في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين ، صفاقس، 2009، ص- ص. 123- 124.

بل، كما سبق القولُ، أداةٌ معرفيةٌ، وعَمَلِيّة إدراكية. ويمكن إجمال مبادئ هذا التصور فيما يلي:

أ- الاستعارة عملية أساسية من نسقنا التصوري ، فالسيرورة الاستعارية أو الإسقاطُ استراتيجية عامة في الإدراك والتواصل. وبذلك فإناللغة الاستعارية لا تنزاح عن اللغة العادية، إنما العادة هي الاستعارة، إذ تحضر هذه الأخيرة في كل مجالات حياتنا اليومية، وفي سلوكاتنا البسيطة، غير أننا لا يمكن الانتباه إليها، إذ أن النسق التصوري ليس من الأشياء التي نعيها بشكل عادي. فليس من السهل القبض على المسارات السلوكية، إلا أن اللغة تمثل إحدى الطرق التي توصلنا إلى اكتشاف هذه السلوكات ممثلة بالاستعارة"[18].

ب- بما أن وظيفة الاستعارة تتجلى في المقام الأول، في تمثيل أفضل للمفاهيم المجردة وليس فقط في تحقيق غايات جمالية فنية، فقد صارت موضوعاً متميزاً في الميدان المعرفي عموماً، وفي بحث التعالقات بين اللغة والعالم تخصيصاً.

ج- تنبع المشابهة من تفاعلنا مع الأشياء، لا من الأشياء في ذاتها. وبذلك تكون الاستعارة، كما يقول عبد الإله سليم، وسيلةً للنظر إلى الأشياء من زاوية غير مسبوقة بناء على ابتداع الترابطات[19]، وملاحظة المتشابه في المختلف. غير أن التقريب بين الموضوعين (المجال المصدر والمجال الهدف) يسوغ بوساطة ملاحظة ذات طبيعة جوارية وتشبيهية[20]. وسواء استندت الاستعارة إلى المشابهة أم التجاور، فإن الترابطات فيها ليست ثمرة الصدفة أو العبقرية، وإنما تشكل أنساقاً منسجمة تستند إلى التجارب الجسدية للذوات وإلى الرواسب الثقافية لهذه التجارب.

18- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. 1، 1996، ص. 21.

19- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقاربات معرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. 1، 2001، ص. 57.

20- نفسه، ص. 90.

د- **الاستعارة ليست محصورة في مرحلة إلقاء الخطاب، بل تتصل بطور الابتكار** وسيرورة التلقي والإدراك[21] أيضا. تقول الروائية أميلي نوطمب Amélie Nothomb على لسان الشخصية المحورية Prétextat Tach في روايتها " L'hygiène de l'assassin":

"الاستعارة ابتكار يسمح للبشر بإقامة علاقة انسجام بين أجزاء نظرتهم. بناء على ذلك، إن زال التصدع بين شقوقها، فلن يعود للاستعارات أي معنى [ولا أي داع]"[22].

إن ما يمكن أن نستفيده من هذه القولة أن الاستعارة مرآة لا تكتفي بعكس الأشياء والظواهر، وإنما تخلق التلاحم والترابط فيما بينها. ولا شك في أن المقصود هنا هو الاستعارات الإبداعية الابتكارية. كما نستفيد أن الاستعارة إذا كانت تتجلى لنا غالباً في المستوى اللغوي، فهذا المظهر اللغوي ليس إلا الجزء الظاهر من "الجبل الجليدي المعرفي"، لأن الاستعارة تتم في مستوى إدراك العالم والفكر قبل أن تجد تعبيرها في الجمل والكلمات.

1-1-2- أنواع الاستعارة

بناء على الخصائص السابقة، أشار لايكوف وجونسون إلى أن عددا من الاستعارات نسقي؛ مصنفاً إياها إلى ثلاثة أنماط، هي: - الاستعارة البنيوية، والاستعارة الاتجاهية، والاستعارة الأنطولوجية. وفيما يلي تعريف مقتضب بها.

21- Chilton, P. (2004), op. Cit, p. 624.

22- Nothomb, A. (1992), Hygiène de l'assassin, Albin Michel, p.154.

1-1-2-1- الاستعارة البنيوية

تَصَورٌ يبنْيَنُ استعارياً بوساطة تصور آخر. في هذا النوع، يُوَفِّرَ المجالُ المصدرُ بنيةً معرفيةً غنيةً للمجال الهدفِ. والمثالُ المتداول في الأدبيات هو **الجدال حرب**. ومن تحققاتها اللغوية:

لا يمكن الدفاع عن ادعاءاتك.

لقد هاجم كل نقط القوة في استدلالي.

أصابت انتقاداته الهدف.

لقد هدمت حججه.

إن اتخذت هذه الاستراتيجية، فسيسحقك...

تُبْرِزُ هذه التحققاتُ المتداولة في الخطابات أننا ننظر إلى الجدال كحرب. وغنى المجال المصدر (الحرب) يتجلى من خلال مكونات هذه الاستعارة البنيوية؛ وهي:

المشاركون: يصبحون خصوماً.

أجزاء المحادثة: تصبح صياغة استراتيجية (هجوم، دفاع، انسحاب، مناورة، هجوم مضاد، حصار، هدنة، تفاوض، استسلام\ انتصار).

المراحل تصبح:

البداية: أحد الخصوم يهاجم؛

المرحلة الوسطى: توليف المناورات، انسحاب، هجوم مضاد؛

المرحلة النهائية: هدنة، طريق مسدود\ انتصار.

المتواليات: الانسحابَ يلي الهجومَ، الدفاعُ يلي الهجومَ، الهجومُ المضادُ يلي الهجومَ.

السببية : الهجوم يُسَبِبَ الدفاعَ، الهجومُ المضادُ يُسَبِبَ الانسحابَ.

الهدف: الانتصار.

يفترض فهمُ المحادثة باعتبارها حرباً أن نكون قادرين على إكْساءِ البنية المتعددة الأبعاد لمفهوم الحرب على البنية المقابلة لمفهوم المحادثة.

تجدر الإشارة إلى أن للاستعارات البنيوية تجلياتِ تظهر في المجتمع ولدى الفـرد. فهـي بـذلك ذات بعـد ثقـافي. أي أنهـا ليسـت كونيـة، بـل هـي منبثقـة في إطـار ثقـافي مخصوص تبعاً لطريقة النظر إلى ظروف الحياة. بيـد أن بعضـها قـد يكـون مشـتركاً بـين بعض الثقافات. وهذا ما يفسر اليسر الذي يجده المترجم في نقلها من لغة إلى أخرى.

1-1-2-2- الاستعارة الاتجاهية

تُنَظِّمُ الاستعارةُ الاتجاهية نسقاً من المفاهيم بعضها إلى بعض. فَتُمَكِّنُ المتكلمين مـن تـأطير لائحـة مـن المفـاهيم الهـدف مـن خـلال الاتجاهـات الفضـائية الأساسـية[23]. وسميت كذلك لأنها تعكـس الاتجـاه في الفضـاء (الأزواج: فـوق- تحـت، داخـل- خـارج، أمام- خلف، مركز- هامش). ومثال الاستعارة التصورية الاتجاهيـة هـو: السـعادة فـوق، الشقاء تحت. ويرى لايكوف وجونسون أن كـل الثقافـات " لا تعطـي الأسـبقية للاتجـاه الفضائي فوق- تحت، كما نفعل. هناك ثقافات يلعب فيها التوازن أو التمركـز دوراً أهـم مما يلعبه في ثقافتنا [كما في قولنا: " خير الأمور الوسط"]."[24]

1-1-2-3- الاستعارة الأنطولوجية

تُمَكِّنُ الاستعارةُ التصورية الأنطولوجية المتكلمين من تصور تجـاربهم مـن خـلال الأشياء والمواد والأوعية بصفة عامة، بدون تخصيص لنـوع الشيـء أو المـادة أو الوعـاء[25]. فلكي نفهمَ تجاربنا من خلال الأشياء المادية، نحن في حاجـة إلى فـرض حـدود مصـطنعة على هذه الأشياء، أي باعتبارها كيانات معزولة، أو باعتبارها مواد من نوع واحد. ما يميز هذا النوع من الاستعارات أنها طبيعية وحـاضرة في تفكيرنـا إلى حـد أننـا لا ننتبـه إليهـا.

23-Kovecse, Z. (2010), Metaphor A Pratical Introduction, Oxford University 2 Ed, p. 328.

24- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، مرجع مذكور، ص. 43.

25- Kovecse, Z. (2010), op, Cit, p.328.

على سبيل المثال فاستعارات " الوعاء" تمثل كيف نضع حدوداً من أجل فهم التصورات المجردة.

"يجب الخروج من النفاق".

فالمفهوم المجرد "النفاق"أُعْتُبِر وعاءَ، مادام الخروج منه، والدخول إليه أمراً ممكناً. ومن الاستعارات الأنطولوجية الأساسية التشخيصُ الذي هو:" [...] مقولة عامة تغطي عدداً كبيراً ومتنوعاً من الاستعارات حيث تنتقي كل منها مظاهر مختلفة لشخص ما أو طرقاً مختلفة للنظر إليه"[26]. فبه يتم الكلام عن كيانات مجردة من خلال الأفعال والصفات البشرية. وتكمن وظيفته المحورية في كونه يساعدنا على تفسير الظواهر المجردة وإعطائها معنى.

1-1-3- الفرق بين المفهوم الاستعاري والعبارة الاستعارية

سبق أن بيّنا أن العبارة الاستعارية مجرد تجلٍّ لغوي للاستعارة التصورية. ويمكن تعريفها بأنها الورود الفعلي للنشاط المعرفي القائم على الإسقاط، أو هو التحقق اللغوي للبنيات الاستعارية الذهنية. أو "لنقل بعبارة العرفانيين إن الاستعارات التصورية طريقة في التفكير وأن التعابير الاستعارية طريقة في الكلام"[27]. وإذا كان ذلك كذلك، فإن كل عبارة استعارية تستلزم بالضرورة تصوراً استعارياً قد تكون له تجليات لغوية أو غير لغوية، يقول أحمد العاقد مؤكداً النتيجة عينَها: "ثمة علاقة في عمليات التواصل الاستعاري بين المستوى اللغوي والمستوى المعرفي، إذ يقتضي التعبير الاستعاري على الصعيد اللساني مفهوماً دلالياً وتخييلياً على الصعيد التصوري"[28]. ومن الأمثلة التي

26- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، مرجع مذكور، ص. 54.

27- Kovecse, Z. (2010), op, Cit, p. 6.

28- أحمد العاقد، مرجع مذكور، ص. 105.

استعان بها لايكوف وجونسون[29] لتوضيح العلاقة بين الاستعارة التصورية والتعابير التي تعد حالات خاصة لها:

كل ما يتضمنه المقال أفكار فجة، ومعطيات مجترة يلوكها كل الناس.

لم أهضم كل ما قاله لي.

هذا غذاء جيد للعقل.

استعصى علي ابتلاع هذه النظرية.

لقد التهم هذا الكتابَ.

كانت هذه الفكرة تختمر خلال سنوات في ذهني.

لا تقدم لي هذه أفكارك على صحن من ذهب.

تربط هذه العباراتُ الاستعارية بنيةَ الأغذية ببنيـة **الأفكـار** بوسـاطة إسـقاط مفهـومي، حيث استعملنا معارفنا عن المجال المصدر للأغذية من أجل فهم المجال الهدف للأفكـار. والاستعارة التصورية التي هي أساس هذه العبارات: **الأفكارُ أغذيةٌ.**

وعلى العموم، فإننا نحـدد المفـاهيم الاسـتعارية بمفـردات مقـولات عامـة مثـل: الطريق، والسفر، والتغذية، والبناء، والمرض، والـمُنْتَج.

المفاهيم الاستعارية	التحققات اللغوية
النظريات بنايات	صـلبة- بـدون دعامـة- أثبـت- تنهـار- في حاجـة إلى تقوية- إنشاء- على أسس هشة... إلخ
الأفكار أغذية (مواد غذائية)	تذوق- فجـة- غـذاء مفيـد للعقـل- تسـميم العقـول- نتانة... إلخ

29- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، مرجع مذكور، ص. 65.

الأفكار مُنْتَجات	تصنع- قَوْلَبَ- أنتج- السوق الثقافية... إلخ.
الأفكار مواد أولية	يجب عدم تبديدها- لا تصلح لشيء - نفدت- رواج الأفكار... إلخ
الوعي وعاء	يزخر وعيه- فراغ فكري... إلأخ.

يتضح من تحليل لايكوف وجونسون أن "الاستعارة لا ترتبط باللغة أو بالألفاظ فحسب، بل إن سيرورة الفكر البشري استعارية في جزء كبير منه، بحيث إن كل المفاهيم المجردة التي ترتبط بالفكر تشتغل بصورة استعارية"[30]. وما دامت الاستعارة وسيلة معرفية ذاتية لإدراك الواقع، ومصفاة نحدد فيها ما نركز عليه في ذلك الواقع، فقد تكون وظيفتُها تأطيرَ الوضعيات والمواقف والاستراتيجيات أو تمريرها؛ الأمرَ الذي يُفسَر- توظيفَ الخطاب السياسي الإعلامي لها بكثافة، ويسوغ للباحث في الآن نفسه دراسةَ هذا الخطاب ونقده، من خلالها. فقد بيّن لايكوف أن المتكلم يختار من بين استعارات عديدة، الاستعارةَ التي تخدم هدفه. فكيف ذلك؟

اللغة تأتي في تصور هذا الباحث دائماً بما يسميه " التأطير" (Framing). فكل كلمة تُحَدَّدُ بالنظر إلى إطار تصور معين[31]. على سبيل المثال لو قلنا عن الجامعة:

"الجامعة مشتل الطاقات\ الجامعة مصنع العاطلين\ الجامعة معبد المعرفة\ الجامعة حقل لتجارب الطبقة المهَيْمِنة\ الجامعة فضاء للحوار\ الجامعة ساحة للمواجهة الإيديولوجية.

ففي كل استعارة تتبدى مظاهر مختلفة من الجامعة وتُنْتَقى على حساب مظاهر أخرى. فهذه الاستعارات توالف بين فكرتين على نحو يقود إلى إبراز مظاهر

30- نفسه، ص. 23.

31- جورج لايكوف، حرب الخليج... مرجع مذكور، ص. 6.

ودفع أخرى إلى الخلفية. ويسمي بول ريكور ذلك "عملية تبادل بين السياقات"؛ إن الاستعارة مثل مصفاة، أو شاشة، تنجز بين فكرتين أو مجموعة من الأفكار انتقاءَ متبادلاً يقود إلى بناء معنى جديد.

انطلاقا من هذا الاستنتاج يحق لنا أن نطرح التساؤل الآتي:ما الصلة بين النظرية المعرفية للاستعارة والتحليل النقدي للخطاب؟

1-1-4- الصلة بين النظرية المعرفية للاستعارة والتحليل النقدي للخطاب

من الأفكار الرئيسة التي جاءت بها النظرية المعرفية للاستعارة التي عرضنا مرتكزاتها وفرضياتها، ويمكن استثمارها في تحليل الخطابات نقدياً لا سيما الخطاب السياسي، أن الاستعارة [خاصة البنيوية] تضع في الصدارة بعض المظاهر وتُخْفي مظاهر أخرى . والاستعارة السياسية تقوم على الإجراء ذاته، إذ تستثمر ما يُغْوِي وتجعله ناتئاً، وتُخْفِي ما يُخيف أو ما يضيئ الوعيَ. وقد تحدث سولطان كوزيفيتش بتدقيقٍ عَمّا يسميه سيرورة Metaphorical Highlighting /Metaphorical Hiding التي تشتغل في كل تلفظ استعاري؛ يقول:" تستلزم الاستعارة بالضرورة تشويها لمقولاتنا القائمة، ما دامت تُسْكِت بعض ذرات المعنى - السمات- وتُبْرِز سمةً أو سماتٍ أخرى"[32]. ففي الإضاءة الاستعارية Metaphorical Highlighting يُركِّز المجالُ المصدرُ على بعض مظاهر المجال الهدف. وفي الإخفاء الاستعاري Metaphorical Hiding يُركِّز المجالُ المصدرُ على بعض مظاهر المجال المتعددة ويخفي أخرى[33].

لا محيد إذاً من الإقرار بأن أي استعارة تقود حتماً إلى اختيار زاوية نظر إلى الواقع. وبهذا المعنى فالتبسيط الذي قد يقوم به منتجها في الخطاب السياسي، لأغراض

32- Kovecse, Z. (2010), op, Cit, p. 79.

33- Ibid., p.326.

التضليل والتغرير، يتم عبر إخفاء بعض المظاهر أو تغييبها. وفي هذا يكمن ما أسماه Denis Jamet الانحرافات السياسية؛ وتقع عندما يُمحى بعضُ السمات بهدف التلاعب، إما قصداً [كما في الاستعارات الإبداعية]، أو بدون قصد"[34]، كما في الاستعارات العرفية الشائعة.

1-2- نظرية الاستعارة الأولية: غرادي

اعتمد غرادي Grady[35] في كتبه على فرضيات نظرية الاستعارة التصورية ومرتكزاتها. ومن ثم يمكن القول إن نظريته الموسومة بالاستعارة الأولية Primary metaphor تقع ضمن البراديغم الذي أرسى ركائزه الباحثان لايكوف وجونسون. وتتمثل إضافته النوعية في تمييزه، بعد تحليل استعارة لايكوف وجونسون التصورية "**النظريات بنايات**" وفحصها، بين الاستعارة الأولية والاستعارة المركبة. وفيما يلي شرح لهذا الاستدراك.

34- Jamet, D. (2006), Les dérives potentielles de la métaphore: essai de typologie In Denis Jamet, Dérives de la métaphore, Oct, Lyon, France. L'Harmattan. p. 218.

35- عرض أسس نظريته في كتابه الذي هو في الأصل أطروحته لـPhD

- Grady, Joseph. (1997), Foundations of Meaning: Primary Metaphors and Primary Scenes. PhD dissertation. University of California. Berkeley.

وله كتب أخرى بالاشتراك منها:

- Grady, Joseph E., Sarah Taub, and Pamela Morgan. 1996. Primitive and compound metaphors. In Adele E. Goldberg, ed., Conceptual Structure, Discourse, and Language, 177-187. Stanford, Calif.: CSLI (Center for the Study of Language and Information).

- Grady, Joseph E., Todd Oakley, and Seana Coulson. (1999), Blending and metaphor. In Raymond Gibbs and Gerard Steen, eds., Metaphor in Cognitive Linguistics, 101-124. Amsterdam: John Benjamins.

1-2-1- استعارة "النظريات بنايات"

اقترح غـرادي (1997) تحلـيلاً آخـر لاسـتعارة لايكـوف وجونسـون "**النظريـات بنايات**" التي تبرز من خلال التحققات الاستعارية التالية[36]:

"هل هذا هو أساس نظريتك؟

تحتاج النظرية إلى مرتكزات إضافية.

نحتاج إلى معطيات أخرى، وإلا انهار استدلالنا وسقط.

نحتاج إلى استدلال متين على هذه الفكرة.

لقد هدموا آخر نظرياته.

ما فعلناه لحد الآن هو وضع الإطار العام لهذه النظرية".

أما القضايا المُسْقَطَة من الميدان المصدر "البنايـات" عـلى المجـال الهـدف "النظريـات"[37]، فهي:

- البنايات الصلبة تظل واقفة، والبنايات الهشة توشك على الانهيار.
- الكل يرتبط بالأجزاء.
- البنايات ترتكز على أساس صلب.
- من الممكن هدم البنايات (والنظريات) بطرائق مختلفة.

36- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، مرجع مذكور، ص. 65.

37-Grady, J. (1997), Foundations of Meaning: Primary Metaphors and Primary Scenes, PhD dissertation. University of California. Berkeley, p. 39.

1-2-2- مقاربة غرادي الجديدة

تبين الأمثلةُ السابقةُ وجودَ صلة تصورية بين مجال البنايـات ومجـال النظريـات. لكن كون النظريات قد تُمَفهَمُ كبنيايات يطرح بعض الأسئلة والإشكالات. وتوصل غرادي في تحليله لهذه الاستعارة، إلى صوغ ثلاثة معايير ضرورية لتحديد ما إذا كانـت اسـتعارةٌ ما أوليةً أو مركبةً:

- استعارة "النظريات بنايات" لا تستحضر الطبيعة الانتقائية لإسقاط المجال المصدر (البنايات) على المجال الهدف (النظريات). مما يستلزم أننـا لا نسـتطيع نقـل أي عنصر من المجال المصدر إلى المجال الهدف. لا نسـتطيع مـثلاً اسـتعمال الأبـواب أو النوافـذ في التحدث عن النظرية. بما أن هذه المكونات لا تمثـل جـزءاً مـن الإسـقاط. لهـذا السـبب، تكون الجملة أسفله غير ممكنة وغير مفهومة:

This theory has Frensh windosw.[38]

- المعيار الثاني هو أن الاستعارة يجب أن يكون لها أساس تجريبـي. فقـد صرح لايكـوف وجونسون أنه " لا يمكن فهم أية استعارة أو التمثيل لها بصورة كافيـة في اسـتقلال عـن أساسها التجريبي"[39]. فيما يخص استعارة النظريات بنايات، من الصعب في نظـر غـرادي أن نَتَبَيّنَ هـذا الأسـاس. إذ لا توجـد أيـة تجربـة بشرـية ذات علاقـة مبـاشرة بالبنايـات والنظريات. لا النظريات، ولا البنايات تمثل جزءاً من تصـورنا القاعـدي للعـالم؛ بالإضـافة إلى ذلك فإن البناية ليست بالضرورة مفهوماً تعرفه كل الكائنات البشرية.

38-Ibid., p. 40.

39- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، مرجع مذكور، ص. 39.

- أخيراً، في استعارة النظريات بنايات توجد عناصر لا مقابل لها في المجال المصدر. فالنظريات تتضمن حـ تماً تحليلاً وخاتمة، وهو ما نجد صعوبة في إيجادما يُقابِلُه في النظريات.

بناء على هذا الفحص، تَوَصَّلَ غرادي إلى أن هذه الاستعارة تتضمن استعارتين دقيقتين. واستعمل مصطلح الاستعارة الأولية في وصف الاستعارات التي لا نستطيع تفكيكها. ففي تحليله، تتألف استعارة "النظريات بنايات" من استعارتين أوليتين، هما:

- المتانة بناء
- التنظيم بنية فيزيائية.

ومن الأمثلة التي قدمها للاستعارات الأولية: "**وصلت اللحظة**" و"**يجب الخروج من النفاق**". الأولى عبارة لغوية تستحضر الاستعارة الأولية "الزمن شيء يتحرك أو في حركة دائمة"، أما الثانية فاستعارة أولية أنطولوجية، تنظر إلى المفهوم المجرد "النفاق" بوصفع وعاءَ. أما الاستعارات المركبة، فنجدها في هذا المثال:" **لقد وصلنا إلى مفترق طرق الأزمات**". فهو استعارة مركبة لأنها تتضمن ثلاث استعارات أولية:

- الحياة سفر
- الحالة\ الوضعية مكان
- الآن هو هنا.

ويحدد سولطان كوزيفيتش الاستعارة الأولية بأنها التي تنبثق مباشرة من التناسبات في التجربة: مثل: الزيادة فوق، والأهداف أماكن مقصودة. ويجب تمييزها عن الاستعارة البسيطة؛ وهي التي تنبثق مما نعتبره مهما في اتصال مع الكيانات الفيزيائية الأساسية ومع الأحداث مثل المَبنى، والنار والحرب والسفر والجسد والنبات والآلة

والرياضة، وهلم جرا: لكل هذه الكيانات والأحداث معان مركزية أساسية في إطار ثقافة معينة[40].

ميز غرادي كذلك بين نوعين أساسيين من الاستعارات لتلافي كل الخلافات التي أثارتها النظرية التصورية: الاستعارات المبنية على الارتباطات، والاستعارات المبنية على التشابه. يكمن الفرق في أن المجال المصدر في النوع الأول حس- حركي، في حين أن المجال الهدف ليس كذلك. بالمقابل تنشأ الاستعارات القائمة على التشابه بالأساس من الإدراك الفيزيائي أو التصوري المشترك بين المجالين عن طريق الربط بين مفاهيم ذات سمات مشتركة. والاستعارات الأولية هي الوحدات الدنيا للاستعارات القائمة على الترابطات فهي متأصلة في طبيعة البشر وتنتج عن طبيعة دماغنا وجسدنا والعالم الذي نسكن فيه. إننا نكتسبها آلياً بدون إمكان تفاديها.

1-3- نظرية المزج التصوري

1-3-1- الأساس النظري

تضم هذه النظرية Théorie de l'Intégration Conceptuelle التي وضع مرتكزاتها وإجراءاتها جيل فوكوني ومارك تورنير، نظريتين: نظرية الاستعارة التصورية ونظرية الفضاءات الذهنية[41]. كما تشبه في بعض سماتها رؤى رونالد لونكاكر R.Longacker صاحب النحو المعرفي.

40- Kovecse, Z. (2010), op. Cit, p. 328.

41- نظرية الفضاء الذهنية توازي نظرية العوالم الممكنة في الفلسفة. والفرق الجوهري بين الفضاء الذهني والعالم الممكن هو أن الأول لايدعي أنه سيكَوِّنُ تمثيلا خالصاً للواقع، وإنما نموذج معرفي مُؤَمثل.

تبلورت هذه النظرية في إطار براديغم النظرية المعرفية للاستعارة، وللعناية أساساً بالاستعارات الإبداعية في محاولة للإجابة عن "بعض المسائل التي قصرت نظرية الاستعارة المفهومية [التصورية] في معالجتها، وهي ما يكون به حدوث المفاهيم مزيجاً من مفاهيم أخرى فيكون لها معنى جديد غير متوفر في المفاهيم المتمازجة"[42]. فقد عيب على نظرية لايكوف وجونسون أنها لا تتناول إلا الاستعارات في الحياة اليومية (أي الاستعارات العرفية) وتعجز عن تحليل الاستعارات الإبداعية وكيفية انبثاق معان جديدة لم تكن بين مجالي الاستعارة، مثل نشوء معنى عدم الدراية من تسمية الجراح جزاراً.

1-3-2- شبكة المزج

"المزج ملكة معرفية بمعنى أنها جملة عمليات طبيعية يقوم عليها اشتغال الذهن في جميع مظاهره بصورة طبيعية عفوية آلية"[43]. وتشمل شبكة المزج[44] Integration network، وَفْقَ ها، أربعَ فضاءات هي: فضاءا/ الدخل وهما مجالان تصوريان يماثلان مجال المصدر ومجال الهدف في نظرية الاستعارة التصورية، بالإضافة إلى الفضاء العام\ الجامع، وفضاء المزج الذي تبرز فيه البنية المنبثقة/ الجديدة، وهو فضاء تتوالف فيه مكونات مختلفة فتنشأ فيه عن طريق الاستدلال معانٍ جديدة

42- الأزهر الزناد، النص والخطاب، مباحث لسانية عرفنية، مركز النشر الجامعي ودار محمد علي للنشر، منوبة تونس، ط. 1، 2011، ص. 265.

43- نفسه، ص. 266.

44-Fauconnier, G. and Turner, M. (2004), Conceptual Blending, Form, and Meaning, In Pierre Fastrez, ed. Cognitive Semiotics, special issue of Recherches en Communication, n°. 19, p. 44.

ما من أثرٍ لها في الفضاءين الدخلين. وعملية المزج هاته تفسر.ها ثلاث ظواهر هي: التركيب Composition والإكمال Completion والبلورة Elaboration[45].

1-3-3- عمليات المزج

هذه الظواهر الثلاث قد تُنَشَّط كلها خلال عملية المزج التصوري مرة واحدة، وقد تُنَشَّط مرات عديدة في العملية نفسها.

يحيل **التركيب** على إسقاط فضائي الدخل في فضاء المزج. وتكون نتيجته إقامة علاقة بين بعض عناصر فضائي الدخل لم تكن موجودة من قبل. لهذا السبب، فإن هذا المبدأ يسمح لنا بضم عناصر لم تكن مترابطة من قبل في فضاءين منفصلين[46].

أما **الإكمال** فنستعمل به المعلومات التي نتوفر عليها مسبقاً من المعارف المشتركة والتجربة المحفوظة في الذاكرة طويلة المدى من أجل تيسير الفهم وإنجاز المزج. وهو في العموم إنشاء معانٍ جديدةٍ لا يحملها منطوق الفضاء المزيج[47].

وتحدث أخيراً **البلورة**. وفي هذا الطور تُنَشَّط الإبداعية[48]، لأن الشخص يتخيل المشهد ويتممه ويوسع مداه وتفاصيله وأبعاده.

ما يُشَكِّلُ سمةً أساسيةً لهذه النظرية أن المزج انتقائي. ويعني هذا أن كل العناصر ليست مسقطة. وإنما تُسْقَطُ في فضاء المزج السماتُ الأكثر ملاءمة فحسب.

45- Fauconnier, G. and Turner, M. (2002), The Way We Think: Conceptual Blending and the Minds's Hidden Complexities, New York: Basic Books.

46- الأزهر الزناد، النص والخطاب، مرجع مذكور، ص. 267.

47- نفسه، ص. 267.

48- Fauconnier, G. and Turner, M. (2002), op. Cit.

1-3-4- مثال للتحليل

المثال الذي يتواتر في أدبيات الدراسات الاستعارية المعرفية، هو "**هذا الجراح جزار**". فمن المعروف أن مهنة الجزارة مهنة محترمة، والجزار قد يكون ماهراً في ممارستها. فكيف تولدت فكرة عدم الدراية؟ تقترح علينا نظرية المزج التمثيل الآتي: بما أن الفضاءات الأربعة ليست أحادية الاتجاه بل بالعكس هي دينامية، فإن العناصر يمكن أن تنتقل في كل الاتجاهات. ففي هذه الاستعارة هناك فضاءان يناسب كل واحد منهما "مجالين" متعالقين في الاستعارة؛ الفضاء الهدف يناسب وضعية الجراح (غرفة العمليات والأدوات والرغبة في العلاج، إلخ) في حين أن الفضاء المصدر يناسب وضعية الجزار (بمجزرته وسكاكينه ومِفْرَمَتِه، ورغبته في تقطيع حيوان مذبوح إلى قطع صغيرة، إلخ). أما الفضاء الثالث "الفضاء العام" فيستعيد الخصائص البنيوية التي يشترك فيها الفضاءان المصدر والهدف. في "فضاء المزج" الذي يرث بِنْيَتَه من الفضاءات الثلاثة كما أوضحنا أعلاه، "تنبثق" خصائص لا يمكن تفسيرها بمجرد الربط بين مكونات الفضاءين الأولين.

في هذا المثال، تُستنتَج فكرةُ عدم دراية الجزار من كون المزج يربط بين الأهداف التي يريد الجراح تحقيقها (العلاج) والوسائل التي يستعملها الجزار. فالدلالة النهائية من عدم الدراية لم تكن حاضرة في المعطيات الأولية، لكنها انبثقت من تقابل الاثنين[49]. فيما يخص هذه العبارة الاستعارية، يمكن للبلورة أن تثير صوراً غرائبية، مثل صورة الجزار وهو يلف أعضاء مريض من أجل بيعها، كما لو أنها شرائح لحم.

49- انظر الرسم التوضيحي لشبكة المزج الخاصة بهذا العبارة الاستعارية في:
أحمد العاقد، المعرفة والتواصل عن آليات النسق الاستعاري دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط. 1، 2006، ص. 85.

السؤال الذي يفرض ذاته الآن هو: ما مظاهر الاختلاف بين نظرية الاستعارة التصورية ونظرية المزج التصوري؟

كما أوضحنا فيما سبق، فإن الإسقاط في نظرية الاستعارة التصورية يتم بين مجالين تصوريين (المصدر والهدف)؛ فهو إذاً أحادي الاتجاه. أما في نظرية المزج التصوريفدينامي. وهذا يعني أن العناصر ليست كلها مُسْقَطَةً، وإنما تُسْقَطُ في فضاء المزج السماتُ الأكثر ملاءمة[50].

يكمن الفرق الآخر في أن النظرية الأولى تعتني وتدرس العبارات الاستعارية المتجذرة في لغة الحياة اليومية، راميةً إلى استكشاف النسق الاستعاري الكامن خلف المَفْهمة Conceptualisation. في حين أن نظرية المزج التصوري تسمح لنا بتحليل العبارات الاستعارية الجديدة الإبداعية وفهمها. وبما أن هذه العبارات الجديدة الإبداعية تمثل مظهراً أساسياً في بعض الخطابات، فيلزم الاستفادة من إجراءات ورؤى نظرية المزج التصوري في تحليلها.

استنتاج

نستخلص من المعطيات السالفة وبناء على هذه المقارنة المقتضبة أن هذه النظريات الثلاث مُتَكَامِلَة، ويمكن استثمار مفاهيمها وإجراءاتها المنهجية ضمن بعد نقدي في تحليل بعض العبارات الاستعارية السائرة في الخطاب السياسي الإعلامي المغربي. لذا، سيقوم تحليلنا على تحديد التصورات الاستعارية الكامنة خلف هذه العبارات، ونقدها بإبراز الانحرافات السياسية والخلفيات الإيديولوجية والتداعيات التي قد تترتب على استعمال تلك التصورات الاستعارية. وهذا ما سنرصد له القسم الموالي من هذه الدراسة.

50-Fauconnier, G and Turner,M. (2002), The Way We Think: Conceptual Blending and the Minds's Hidden Complexities, New York: Basic Books.

2- الاستعارات في الخطاب السياسي الإعلامي المغربي

2-1- استعارة الحرب

إحدى الاستعارات الأكثر تواتراً في المجال السياسي الإعلامي المغربي هي الاستعارة البنيوية: "**النشاط السياسي حَرْب**"، وفيها تُحَدَّد الأعمال السياسية بالحرب، والنسق السياسي بميدان المعركة، والفاعلون السياسيون بمحاربين بينهم من ينْتَصر ومن ينهزم، بينهم من يخطط وينفذ ويناور... إلخ"؛ فالعمل السياسي يمارس باعتباره حرباً فيها صراع بين طرفين [...] فثمة صراع بين الأحزاب وبين الحكومة والمعارضة[51].

فقراءة بعض الخطابات تُبَيِّن أن بعض عباراتها الاستعارية مأخوذة من مجال "الحرب" بخصوص الصراع بين الأفراد والأحزاب والحكومات والمعارضة؛ ومنها على سبيل المثال:

استمرار الهجوم على القدرة الشرائية للمواطنين\ في وقت لايزال الهجوم على المكتسبات\واجه رئيس الحكومة أسئلة رجال الأعمال الحارقة\ ضُرِبَت بعض الأحزاب وسُمِّمَ بعضُها الآخر\ في خضم المعركة للنهوض بالمرأة المغربية\ اعتراض رئيس حزب التجمع والأمين العام للحركة الشعبية ومحمد بوسعيد وزير الاقتصاد والمالية، ما تسبب في أزمة صامتة داخل التحالف الحكومي بخصوص الإجراءات التي يريد رئيس الحكومة فرضها ضمن قانون المالية قبل أن يستسلم لحلفائه داخل التحالف\ تحولت قاعة الجلسات العامة لمجلس النواب إلى حلبة لتبادل الاتهامات بين النواب البرلمانيين لحزب الاستقلال ووزير العدل والحريات.

ومن هذه العبارات كذلك: **الحرب ضد الجريمة، القضاء على البطالة، محاربة تجارة الحشيش.** وترى سيمينو أن مثل هذه الاستعارات تشدد على خطورة المشكلة

51- محمد صالح البوعمراني، في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط.1، 2009، ص. 132.

وجدية الجهود المبذولة لحلها[52]. وتؤكد أن مجالَ مصدرِ الحربِ "يُعَدُّ متغلغلا على نحو عام أو أن لديه - بمصطحات كوفيزتش- مجالا استعاريا واسعًا[53]. فلماذا تستعير السياسة من الحرب بهذه الكثافة؟

إن استحضار خصائص الخطاب السياسي (وعلى رأسها السعي إلى الاستحواذ على السلطة أو تغييرها) يجعلنا ندرك أن السياسة والحرب يشتركان في السعي لإحراز النصر، بل هناك من المنظرين في العلوم السياسية من يعتبر الأولَى استمراراً للثانية؛ يقول محمد المصباحي محاولا تحديد السمات المشتركة بين ثلاث مجالات هي السياسة واللعب والحرب: " إن عالم السياسة لا يتكون من أشياء وأغراض، أو من مفاهيم ومعان، وإنما من قوى وبرامج ومشروعات مجتمعية متصارعة يقودها أفراد وأحزاب [...] فأن تمارس السياسة معناه أن تستعمل كل ما في وسعك من قوة لتتغلب على قوة أو قوى الخصم. وهذا ما يجعل السياسة من جنس الحرب، أو بالأحرى هي الوجه الآخر للحرب واللعب معاً، مما يجعلها تأخذ من هذين الفنين جزءاً من طبيعتها، علما أن الفنون الثلاثة تشترك في رهان واحد هو تحقيق النصر"[54]. وأخذ مفاهيم من مجال الرياضة واللعب للحديث عن السياسة رائج كذلك بقوة في الخطاب السياسي الإعلامي المغربي، وبيانه في الفقرة الموالية.

52- إيلينا سيمنو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة عماد عبد اللطيف وخالد توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط. 1، 2013، ص. 224.

53- نفسه، ص. 382.

54- محمد المصباحي، هل يمكن الكلام عن " الحق" في الكذب في المجال السياسي؟ في فلسفة الحق كانط والفلسفة المعاصرة تنسيق محمد المصباحي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات، رقم 143، ط. 1، 2007، ص. 205.

2-2- استعارة الرياضة/ الألعاب

يُنظر ضمن هذه الاستعارة البنيوية إلى النشاط السياسي بوصفه لعبةً أو حدثًا رياضيًا: النشاط السياسي لعبة/ رياضة. وتشترك مع الاستعارة السابقة، كما أسلفنا، في سمة التنافس، والسعي إل تحقيق الانتصار. فالمجال العام للرياضة يرتبط على نحو وثيق بمجال الحرب، لأنهما توءمان في التاريخ، ويتم التعبير استعاريا عن كل منهما بمفردات تنتمي إلى الآخر[55]. ومن العبارات التي تدل على شيوع هذه الاستعارة التصورية:

يبدو أن الحكومة رمت بكرة النار الحارقة بملف إصلاح التقاعد إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي\ أعلنت المركزيات النقابية في ردها رفضَها لأي وساطة تأتي في الوقت الميت\ انتهت الجولة الأولى من المفاوضات\ وجه (س) صفعة قوية لخصمه في السباق نحو الكتابة العامة\ البرنامج السياسي رد على الإجراء المتخذ في إطار قواعد اللعبة الديمقراطية\ غياب رؤية وتصور شامل للإصلاح لدى الحكومة يزيد من تعقيد الوضع بعد توقف عجلة الحوار الاجتماعي في جولته الأولى\ الوزير يضع الحركات الاجتماعية خارج اللعبة.

العبار ة الأخيرة استعارةٌ مركبةٌ تتكون، بمصطحات غرادي، من استعارتين أوليتين: السياسة حركة، والسياسة آلة. وهذا يعني أن استعارة الرياضة هنا تتراكب مع الاستعارة الميكانيكية (السياسة آلة).

- الجولة ←———— الرياضة
- عجلة الحوار ←———— الحوار حركة

وقد يُعزى تواتر استعارة الرياضة إلى قوتها التواصلية والتوضيحية، بحيث تُبَسِّط تعقيدات السياسة وتجعلها متاحةً للجمهور عامة فهي، كما تقول سيمنو "تقدم

55- إيلينا سيمنو، مرجع مذكور، ص. 224.

سيناريوهات مألوفة وبالغة الوضوح، بمشاركين يمكن تحديدهم بوضوح يسعون إلى غاية غير غامضة (الفوز)"[56].

وعلى الرغم من شعبية هذه الاستعارة، وقدرتها على جعل تمثيل الظواهر السياسية أكثر دينامية، وقدرتها على خلق أو تعزيز نوع من الأرضية المشتركة مع الجمهور، خاصة حين يكون المواطنون من غير المهتمين بالسياسة، فإن لها سلبيات أبرزهاالعديد من الباحثين[57]. ويمكن إيجازها فيما يلي:

فأليسندرا رولطو ترى أن التركيز على تمثيل النشاط السياسي من خلال الرياضة (خاصة إذا كانت رياضات عنيفة) قد يُؤَوّل باعتباره عنصرا يَحُثُّ على الصراع، ويُثَبِّتُ نموذجًا ثقافيًا يقوم على تمجيد العدوانية. فالعنف الذي تحمله الاستعارة الرياضية في ط ياتها قد يساعد على توتير العلاقات بين الخصوم السياسيين. فيَتَحَوّلُ العنفُ اللفظي إلى عنف مادي جسدي.

كما استدلت سِيمِنُو على أن استعارات الرياضة تؤكد التنافس بين الأحزاب والمجتمعات على حساب غايات أخرى للسياسة كفعل نبيل يروم خدمة الصالح العام. وترى من ناحية أخرى، أن استعارات الرياضة تتضمن علامات تَحَيّز على أساس النوع؛ والسبب في نظرها "أن الذكور يهيمنون على الرياضة سواء أكانوا لاعبين أم مشاهدين. وهكذا فإن الانتشار الواسع لاستخدام الاستعارات يمكن أن يسهم في الإبقاء على الهيمنة الذكورية على السياسة، وبوساطة غَمْر الخطاب السياسي بتعبيرات قد تستبعد النساء أو تُنَحّيهن.

وإذا عرفنا نظرة المجتمع المغربي إلى الرياضة، فسنستنتج أن هذه الاستعارة قد ترسخ النظرة الدونية والتحقيرية إلى السياسة، لارتباط الرياضة باللهو وتضييع الوقت.

56- نفسه، ص. 222.

57- نفسه، ص. 222 وما بعدها.

فيكون مآل ذلك ترسيخ العزوف السياسي، خطاباً وفعلاً. فإذا أضفنا ما أشار إليه طومسون من أن استعارة الرياضة لها تأثير في تأكيد التباعد بين السياسيين والمواطنين العاديين لأن هؤلاء غالبا ما يتم تصويرهم بوصفهم مشاهدين، لا مشاركين، فإن استعمال الخطاب السياسي الإعلامي ينبغي له أن ينتبه إلى ما يقوم به وهو يوظف هذا النوع من الاستعارات. فهي سلاح ذو حدين: التبسيط والإبعاد في الآن نفسه.

2-3- استعارة الجسد (الكائن الحي)

استعارة أنطولوجية تتكرر عباراتها في الخطاب السياسي المغربي. تُقارن وَفْقَها أجزاء النسق السياسي بأعضاء الجسد البشري (الرأس\ الأعضاء) فالسياسة كائن حي؛ يقول شيلتون مفسراً وظيفة هذه الاستعارة، ومبيناً سبب ذيوعها: "استعارة الجسد السياسي بالأساس راسخة. لأنها تَسْمح بإسقاط المعرفة المُكّونة عن الجسد (وأسقامه) على مجال السياسة. فإذا كان للنظام السياسي رأس فله أعضاء فرعية صغرى تَخْدُمُه. وإذا كان جسدًا فقد يصاب بمرض يعود إلى عنصر ضار، ويترتب على ذلك أنه في حاجة إلى طبيب كي يعالجه؛ ولتحقيق ذلك بإمكانه تقديم وصفة عاجلة"[58].

في حين أن أوليفيي روبول يُرجع شيوع هذه الاستعارة، في فترة ماضية، إلى بعض النزوعات العنصرية؛ فهي رائجة بالخصوص في الخطابات اليمينية (النازية) التي كانت تسعى إلى تدمير الآخر بكونه عنصراَ يهدد سلامة مجالها الحيوي وحيويته.

وتمنح هذه الاستعارة مثل سابقاتها أداةً يستطيع بها الذهن البشري القيام باستنتاجات، لأنه إذا كانت الاستعارات انطلاقا من مجال مصدر نحو مجال هدف، تمنح

58- Chilton, P. (2009), Metaphors in Political Discourse, In Concise Encyclopedia of Pragmatics, Second Edition, Editor Jacob 1 Mey, University of Southern Denmark, p. 624.

استنتاجات قد تُنْجَزُ في الأول، فيمكن أن تنجز بالقوة في مجال الهدف[59]. ومن التحققات اللغوية لهذه الاستعارة التصورية:

كل التدابير اتخذت في الدستور لإطفاء الغضب\ بين الجهات الغنية والجهات الفقيرة\ الذراع النقابية للحزب تنقسم إلى شقين\ ميلاد حركة سياسية\ مساع لكسر الجمود\ تظهر أعطاب التدبير الحكومي في الإجراءات المتخذة\ الأعيان الماكينة التي تفسد الجسد السياسي\ تعاني الأحزاب من تخمة في الأشخاص الطامحين إلى الإمساك بخيوط اللعبة...

تنبني هذه الاستعارات، كما يتضح، على التماثلات الفيزيولوجية أو السيكولوجية، حيث تصف الظواهر السياسية كما لو كانت ظواهر حية (أي التشخيص). وقد تُسْتثمَر هذه الاستعارة بشكل موسع في إفحام الخصوم السياسيين وهدم شرعيتهم. ومن ذلك توظيف عبد العزيز أفتاتي لاستعارة الجسد في نقد خصومه السياسيين في البرلمان:

"لقد مستكم (الملفات) من الجانب الذي يضركم في جسدكم الحزبي وهو الفساد... إن الجسد الحزبي كالجسد البشري يفرز الأوساخ بشكل طبيعي ويحتاج الانسان إلى أن يذهب إلى الحمام، ولكي يتخلص من أوساخ الجسد الحزبي يحتاج إلى أن يلج باستمرار حمام المحاسبة الذاتية والتخليق الضروري للتخلص من الكائنات الانتهازية والنفعية".

ووَسَّعَ وزير العدل والحريات هذه الاستعارة قائلاً:

"الإنسان الذي لا يتخلص من أوساخه فإنه مع الزمن تتكاثر الأوساخ وتصبح مع مروره قاذورات ومكروبات وفيروسات تؤدي في النهاية إلى هلاكه وهلاك الكائن الحزبي"[60].

فاللافت للنظر هو توظيف النائب البرلماني والوزير للاستعارة نفسها، مما يدل على أنها تنبثق من الاستعارة التصورية ذاتها. كما نلاحظ أن النائب الاستقلالي نور الدين مضيان احتج على هذه الاستعارة التي وظفها وزير العدل والحريات ونائب العدالة

59- Ibid., p. 624.

60- المساء، العدد، 650، 25 دجنبر 2014.

والتنمية، لكنه هو نفسه عاد إلى استعمالها. حين تدخل قائلاً: "**إننا انتقلنا من اللغة التشريع ية إلى لغة الحمامات والكسّالات، وأعتقد أن هناك أجسادا متسخة تحتاج إلى تنظيف وهناك أفواه متسخة تحتاج كذلك إلى تنظيف**"[61].

إن الرد على الاستعارة لا يمكن أن يكون فعالا إلا إذا نَمَّى الاستعارة ذاتها من أجل نقضها، فقد أظهرت الدراسات التجريبية أن التعبيرات الاستعارية المستخدمة في المناظرات السياسية التي تقوم بتمديد استعارة الخصم لها قوة إقناعية عالية"[62]، أو إذا وظف استعارات ذات إيحاءات تقييمية أقوى، وذات قدرة على إظهار صواب المتكلم، وإخفاء رأي الخصم السياسي وتسفيهه.

2-4- استعارة المرض

تُحَدَّدُ السياسةُ، في هذه الاستعارة البنيوية التي تعد تمديدًا أو حالة خاصة من الاستعارة السابقة، بالمرض، فالمشكلاتُ السياسية أمراض، والفاعلُ السياسي الذي يُنشئ الخطاب طبيبٌ مُعَالجٌ، والبرامج والمشاريع وصفاتٌ علاجية.

يتمثل الجانب الإيجابي في هذه الاستعارة في كونها تُسْهِمُ في مَفْهَمَة العمليات السياسية المعقدة المجردة، من خلال مفردات السيرورات الجسدية؛ وهي مفردات ملموسة ومألوفة. بيد أن " المظهر السلبي لهذه الاستعارة يكمن في أنها تسوغ اتخاذ تدابير صعبة وتنفيذها بذريعة ضرورة حل المشكلات لأنها تعد أمراضا خطيرة؛ كما أن القرارات التي تُتخذ لا يمكن أن تُنَاقَش، لأن المسؤولين يُنْظَرَ إليهم كأطباء عليهم التدخل بسرعة"[63]. من العبارات التي تندرج ضمن استعارة المرض:

61- نفسه.

62- إيلينا سيمنو، مرجع مذكور، ص. 195.

63- Richardt, S. (2005), Metaphor in languages for special purposes: The function of conceptual metaphor in written expert language and expert-lay communication

==

بوسعيد يعلن اعتزامه إيقاف نزيف المديونية\ هذه المشكلة سرطان يجب استئصاله\ عفي الاقتصاد المغربي من مرض التضخم بإجراءات الحكومة\ التهاب الأسعار بعد رفع ثمن المحروقات\ الموت السريري للحزب\ تشخيص الوضعية السياسية للحزب دون الوقوف على الاختلالات الحقيقية التي يعاني منها\ البيت الداخلي للحكومة يشكو من عدم الانسجام\ العملية التشريحية لعمل حكومي كشف عن أعطاب عديدة\ المغرب مهدد بسكتة قلبية\ المغرب يحتاج إلى إنقاذ.

وقد لفت محمد الساسي النظر إلى تداعيات استعمال مفهوم الإنقاذ في وصف حالة المغرب السياسية، منبهاً إلى ما يرمي إليه ذلك الاستعمال: "الإنقاذ يذكر في مواجهة وضع كارثي أو ينذر بكارثة، أي أننا في حالة قرب حرب تستدعي الإسعاف والنجدة قبل فوات الأوان. من يقول إن مهمته هي إنقاذ المغرب ينطلق إذن من أن المغرب في خطر وتحيط به التهديدات ويحتاج إلى طوق نجاة لكي يستمر في الحياة السياسية العادية"[64].

إن توظيف الأمراض الخطيرة والمستعصية في استعارات الخطاب السياسي يسهل على منتجها تحقيق غاياته وأغراضه. بيد أن المحلل قد يكشف عما تثويه من أغراض واستراتيجيات تمويهية إن تناول الاستعارة نقدياً.

نقطة مهمة يجب إثارتها هي أن كل الأمراض لا تُوَظَّف في الخطاب السياسي ولا تُوَلِّدُ شبكات استعارية؛ فالمرضان اللذان وُظِّفا استعارياً في الخطاب السياسي الغربي مثلاً هما السل والسرطان (والسيدا اليوم). لأنها أمراض قاتلة وتوقض كما تقول الباحثة سوزان سونتاج مخاوف هائلة[65].

---

in the domains of economics, medicine, and computing. Frankfurt am Main: Peter Lang, 129- 131.

64- محمد الساسي، إنقاذ المغرب، جريدة المساء، العدد، 912، 03 شتنبر 2009.

65- Sontag, S.(1993), La maladie comme métaphore (Traduit de l'anglais Illness as Metaphor, Susan Sontag, 1977, 1978),Christian Bourgeois Editeur, p-p. 5-11.

وبما أن "كل بلاغة تتم مع الأهواء وعليها"[66]، فإن هذين المرضين [السرطان والسيدا]، لاستعصاء علاجهما، يُستغلان لإثارة المخاوف في نفوس المتلقين. وهذا النوع من الاستعارات يظل منتجاً؛ ما لم يُكْتشَف أي علاج فعال لاستئصالهما والقضاء عليهما[67]. لهذا السبب تتوقع الباحثة سونتاج تغيراً - وربما اختفاء- لهذه الاستعارات حينما يصير علاج هذه الأمراض ممكناً، لأن أهمية الاستعارة يكمن تماماً في كونها تحيل على مرض يلفه الغموض والخوف.

يتضح أن الاستعارة بصفة عامة، واستعارة المرض بشكل جلي مرتبطة بالعاطفي والذاتي. ولعل الخطورة تكمن في الحلول التي قد يلجأ إليها السياسي حينما يعتبر قضية ما مرضاً، لأن مقارنة حدث أو وضعية سياسية به هو إصدار حكم، أومطالبة بإنزال عقوبة[68].

2-5- الاستعارة التجارية

تشترك مع استعارة الحرب في الربح والخسارة، ولها إمكانات إبراز الجانب الإيجابي (الفوز والنفع المتبادل) أو الجانب السلبي (الخديعة والنفاق) في الآن نفسه. وشيوعها في الخطاب السياسي الإعلامي المغربي بهذين الإيحاءين يعود إلى استخدام الاستعارة التمثيلية المرتبطة بالتجارة في القرآن الكريم للحديث عن الأعمال التي تنجي من العذاب، أوعن أعمال المنافقين. والقاسم المشترك في الحالتين هو الحديث عما هو مجرد ومعنوي بما هو ملموس ومعروف لدى المخاطبين.

66- Meyer, M. (1991), « Introduction » in Aristote, Rhétorique, traduction de C.-E. Ruelle, revue par P. Vanhemelryck ; commentaires de B. Timmermans, Paris, Coll. « Classiques de la philosophie », Le livre de Poche, 5-70.

67- Jamet, D. (2006), op. Cit, p. 214-218.

68-Sontag, S. (1993), op. Cit, 5-11.

وقد يعود هذا الانتشار إلى تأثير الاقتصاد في الممارسات الخطابية وغير الخطابية، فاللغة اليومية تغزوها استعارات القيمة والإنتاج، كما تحضر اللغة التجارية في خطاب الفاعلين السياسيين والإعلاميين، لأن مخاطبة الناس بمفردات أنشطتهم اليومية ييسّر فهمهم للسياسة وتعقيداتها، وييَسّر لهؤلاء الفاعلين تمرير مواقفهم. ومن تجلياتها:

اتهم الحكومة بالتحايل على النقابات بتهريب ملف إصلاح التقاعد إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي\ الحزب يعرض بضاعة كاسدة في مؤتمره\ العرض والطلب يتحكم في الانحدار باللغة السياسية\ توزيع الكعكة بين الفرقاء السياسيين\ ما زالت سياسة المغرب النافع وغير النافع سارية المفعول\ اختلال ميزان القوى في أوساط الحزب\ دعا الكثيرون إلى دسترة كل شيء فيما يشبه الهمزة، أو الريع السياسي الذي يعد بالكثير من الخيرات توزع على كل الفئات.

2-6- استعارة الرحلة

استعارة بنيوية تجعل السياسة حركةً ومسيرةً إلى هدف ما. يقول بيل Peil (1983) محدِّداً بعض الاستعارات الكبرى التي وُظِّفت في النظر إلى النشاط السياسي:" إذا كانت الدولة سفينةً، فهي تحتاج إلى قبطان قوي لقيادتها في بحر هائج. وإذا كانت بناء فستحتاج إلى دعائم متينة، وسقف لحمايتها وركائز لإسنادها. وإذا كانت آلة فثمة رافعة للسلطة، ومراقبون وموازين، وقد تكون بهذا القدر أو ذاك فعالة أو خارج السيطرة"[69]. من العبارات التي تكشف عن هذا الاستعارة التصورية في الخطاب السياسي المغربي:

انطلاقة جديدة في الفريق الحكومي\ المغرب في مفترق الطرق\ ترسو سفينة الحكومة\ نحن في نهاية النفق وسنتوجه بسرعة فائقة إلى التنمية\ إعادة البوصلة إلى اتجاهها داخل الحزب\ تغيير بوصلة العمل السياسي بالمغرب\ القعود عن دعم وتقوية المسيرة

69-Chilton, P. (2009), op. Cit, p. 624 .

الديموقراطية\ ميلاد حركة سياسية جديدة\ الترحال السياسي في البرلمان المغربي يصل إلى أوجه\ التحول الديمقراطي الذي يمر منه المغرب\ الانتقال الديمقراطي مازال في مراحله الأولى.

تخضع استعارة الرحلة في الخطاب السياسي وفي كل الخطابات لسُلَّمِيَّة الإرث التي يجعلها لايكوف ثلاثية المستويات: الاستعارات ذات الانتشار الواسع من حيث العصور والميادين والثقافات في أعلاها ويرد في أدناها الاستعارات ذات الانتشار المحدود وفي ما بينهما الاستعارات ما بين المحدودة والمنتشرة المتواترة، مثلا:

- المستوى الأول: استعارة البنية الحدثية.
- المستوى الثاني: الحياة رحلة.
- المستولى الثالث: الحب رحلة، الدراسة رحلة، المهنة رحلة[70]. والفعل السياسي مسار.

وفق هذا التحليل تكون استعارة "السياسة **رحلة أو مسار**" فرعاً للمستوى الثاني من السلمية، الذي يرث خصائصه من المستوى الأول استعارة البنية الحدثية؛ وهي بنية غنية يمكن أن تزود منتج الخطاب ومتلقيه باستدلالات كثيرة في مَفْهَمَة المجالات الهدف التي تتسم بالتجريد.

2-7- استعارة الطقس

تتواتر كذلك في الخطاب السياسي المغربي استعارة الطقس ومن عباراتها:

المناخ السياسي غير السليم \في صلب عاصفة سياسية\ المغرب عانى من كارثة...\ غَطْس زعماء الأحزاب السياسية المغربية\ تطرق المكتب السياسي لحزب التقدم والاشتراكية إلى طبيعة الأجواء التي تخيم على الساحة الاجتماعية\ تم القصف والعصف بكل الطاقات الجادة\ أصبحت الجامعة صحراء قاحلة، لا تنتج العقول\ ثوابت مجتمع تحمي نموه

70- الأزهرالزناد، مرجع مذكور، ص-ص. 235-240.

وتطوره وتحافظ على التنوع\ هـذه الاسـتقالة لـن تعصـف بـالحزب\ الحصـيلة الحكوميـة هزيلة\ الحصيلة الحكومية وافرة.

تحيل هذه العبارات على استعارة تصورية: **السياسة طَقْسٌ**؛ ومن ثم توحي بـأن آثارَ ها لا يمكن التحكم فيها ولا إيقافها. كَمَا تسود الخطاب السـياسي المغـربي اسـتعارات ترتبط بمجال الزراعـة والفلاحـة (المحصـول، والحصـيلة... إلـخ). ويمكـن أن نفسر ذلـك بطبيعة المجتمع، وبنوع السياسة الاقتصادية التي نهجها المغرب منذ عقود عديدة.

2-8- استعارة البناء

استعارة بنيوية تحدد السياسة مع البناء "**السياسـة بنـاء**" والمشـكلات السياسـية تهدد صلابة ذلك البناء. تكمن سلبية هذه الاستعارة في التركيز عـلى مواجهـة المشـكلات السياسية كقوى طبيعية لا يقدر الإنسـان عـلى الـتحكم فيهـا، فيلقـى كـل قـرار، وفعـل سياسي، ولو كان صعبا الإقرارَ والقبولَ فيتملص الفاعل من مسؤوليته. من تحققاتها:

صلابة البيت الحكومي\ استقرار الأوضاع السياسـية\ الوافـد الجديـد..\ السـاحة السياسـية تشهد تناحراً\ المغرب بناء مرصوص يشـد بعضـه بعضـاً\ ترسـيخ البعـد الاجتماعـي\ تمـتين أواصر العلاقات بين...إلخ.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الاستعارة شائعة إلى حد أنها بدهيـة: فثمـة طبقـات وارتقاء، وانخفاض، وعلو. وفي الغالب يُصْحَبُ هذا الإطار بمعجم عسكري سياسي، بمـا أن هناك صراعاً بين مُهَيْمِن ومُهَيْمَن.

2-9- استعارة في الأعلى\ في الأسفل

هذه استعارة اتجاهية وأولية. مثلاً في "**ارتفع التضخم**" يمكن أن نرصد إسـقاطين يشكلان استعارتين تصـوريتين: التضـخم مـادة (اسـتعارة أنطولوجيـة) والأكـثر في الأعـلى (استعارة اتجاهية). فبفضل الاستعارة نفهم التضخمَ الكيانَ المجردَ بكونه مادة فيزيائيـة تتزايد، ونفهم التزايد الظاهرة المجردة بمفردات الاتجاه الفيزيـائي (حركـة نحـو الأعـلى).

ويكفـي أن تَـتَصفح أيـة جريـدة وطنيـة، أو بـلاغ سـياسي لتقـف عـلى تحققـات هـذه الاستعارة الاتجاهية، ومنها على سبيل المثال:

الرفع من الحد الأدنى للأجور\ الزيادة في نسبة الاقتطاعات\ جعل المصلحة الوطنيـة فـوق كل اعتبار\ روح وطنية عالية... إلخ.

لقـد سـبق لأورطـوني أن اسـتدل منـذ 1975 عـلى أن الاسـتعارة ليسـت ممتعـة فحسب، وإنما ضرورية أيضاً[71]. ولربما تُصَعِّب هذه الضرورةُ تحديـدَ البعـد الإيـديولوجي في الاستعارات الأولية ، نظـراً إلى كـون التجربـة الجسـدية البشريـة تحضر فيهـا، كـما أن أغلبها مشترك بين كل الثقافات واللغة.

2-10- استعارة المسرح

تُقارَب الحياةُ السياسـية في هـذه الاسـتعارة المُرَكَّبـة كمشـهد أو طقـس. فهنـاك ممثلون ومخـرج وأداء وأدوار وفصـول، واسـتهلال، وانفتـاح، ولبـاس خـاص بالمناسـبات، وفُرجَة وموعد لهذه الفرجة؛ من العبارات:

المشهد السياسي\ تؤدي الأحزاب دورا في تأطير\ تلعب دورها بـإخراج محبـوك\ تـؤدي دور رئيس الجوقة يوزع الثروات\ نهاية مأساوية للحزب\ أعضاء الحزب يتحولون إلى متفـرجين لقفشات رئيس الحكومة وبصمت بالغ.

يكشف استعمالُ هذا النوع من الاستعارات عن تقيـيم معـين للعمـل السـياسي، ذلك أن وظيفة الاستعارة تتمثل في وظيفتين تداوليتين: التقييم والإقناع. ويـتجلى بعـدها التقييمي في أنها:" تقصد إبلاغ موقف أو تسخر منه"[72].

71-Orthony, A. (1975), Why Metaphors are Necessary and Not Just Nice, in Educational Theory 25, p-p. 45-53.

72- Maalej, Z. (2007), op. Cit, p. 149.

علاوة على ذلك، أشار لايكوف وتورنير إلى أن من أهم مصادر القوة في الاستعارة هي "قوتها في التقييم: أحيانا يكون التقييم إيجابياً، وفي حالات أخرى، قد يكون التقييم سلبياً"[73]. إلا أن الوعي بوجود استعارة تصورية قد يُلغي إقناعيتها[74]، ويكون مدعاة لإيقاض الحس النقدي إزاءها.

2-11- استعارة الحيوان

يذهب فان ديك إلى أن مبادئ استعمال الصور والاستعارات تحترم الأهداف العامة لتقديم الذات إيجابيا والآخر سلبيا، وفق ما يبرزه المربع الإيديولوجي:حيث نميل إلى وصف ذواتنا وأفعالنا (In group) باستعارات تصورية ذات ارتباطات إيجابية، في حين أننا نصف الخصوم السياسين (Out group) بصفات سلبية. إذًا فسياسونا سَيوسَمونَ بصفات جيدة (القوة والشجاعة والروعة والبَسَالَة) ويُمَثَّلون بحيوانات جريئة ونبيلة مثل الأسود والأفراس والدببة والنمور، في حين يُؤَثّر تقديمُ الآخر بالمكر والخداع والاتساخ (كالفئران والكلاب والحشرات والصراصير)[75]؛ فعلى سبيل المثال وظف رئيس الحكومة المغربي في خطاب له أمام البرلمان "العفاريت والتماسيح". أما حضور استعارة الحيوان فقد يكون مباشراً كما في هذا المثال، وقد يكون بطريقة مكنية،كما في:

التكالب على الحقيقية يشكل خطرا على الديمقراطية\ الدولة مصنع لتفريخ الأكاذيب\ الخشية من تغول بعض الأطراف في الدولة\إنقاذ الحزب من براثين الذئاب\ قطع الوزير رأس الحية الكبرى.

73- Ibid, p. 150

74- Ibid, p.151.

75- Van Dijk, T. (1997), What is Political Discourse Analysis. In Jean Blommaert and Chris Bulicaen (Eds), Political Linguistics, Amsterdsm: Benjamin, p-p. 11-52.

لم تُثِر استعارةٌ جدلاً سياسياً في المغرب وتتحول إلى موضوع بدلاً من البرامج ذاتها ما أثارته استعارة العفاريت والتماسيح. فقد رُفِضَتْ رفضاً باتاً، واعتبرها البعض دليلاً على عجز رئيس الحكومة على محاربة الفساد، واعتبرها آخرون مشيرا قوياً إلى شعبوية الخطاب السياسي وانحطاطه.

من المعلوم أن مصير الاستعارات في الخطاب السياسي يختلف، فقد تشيع وتتداول إلى حد نسيان مجازيتها فتنتقل من الخطاب إلى اللغة، أي تصير جزءاً من النسق اللغوي، ولا يكون للمتكلمين - نتيجة لذلك- وعي بها"[76]، وهنا تكمن خطورتها في كثير من الأحيان ، وقد تُرفض وتُنتقَد وتتخذ أداة لتفنيد حجة مُنْتِجِها. وقد عبر عن هذا المعنى فينصوف Vinsauf بتشبيهه الاستعارة بِشاة قَفَزَتْ طوعاً أو كرهاً من مرتعها الأول إلى مَرْتع آخر مجاور أو بعيد[77]. ولا يخفى علينا أنها قد تُرفس فتُقتل في الحين. وقد تستقبل بحفاوة فتؤثر وتتأثر، وقد تنسى أصلها، بل قد تنتقل إلى مَرْتع آخر؛ فتكون لها حياة جديدة.

يتضح مما سبق ذكره عن اشتغال الاستعارة في الخطاب السياسي الإعلامي المغربي أنالإيجابية أو السلبية ليستا صفتين ملازمتين لها، وإنما تنتجان عن التفاعل مع التجارب الذاتية والثقافية؛ بمعنى أن الاستعارة ليست شيئاً جيداً ولا سيئاً في ذاته؛ إنها شيء اعتيادي لا محيد عنه فالمجر دات والأوضاع المعقدة تُفهم عادة بواسطتها[78].

يترتب على المعطيات السالفة أن الاستعارات تؤدي دوراً مفارِقاً: إما أن تسمح ببلوغ معرفة جديدة، تفتح أبواباً مختلفة للفهم، وإما أن تخدع إن استعملت خطأ، وفي

76- Jamet, D. (2006), op, Cit, p. 219- 220.

77-Balibar-Mrabti A. & Conenna M. (éds) (2002), Nouvelles approches de la métaphore. Langue française 134, p. 10.

78- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، مرجع مذكور، ص. 23.

هذه الحالة تخدر العقل وتحرف الواقع، أو بالأحرى تزيف إدراكنا له. وما يجب التنبه إليه أن الاستعارة ليست هي الواقع، ولكنها رؤية ذاتية له.

2-12- الاستعارة الدينية

هي من الاستعارات المتواترة في الخطاب السياسي الإعلامي المغربي بشكل مقصود لدى بعض الأحزاب وغير مقصود لدى بعضها الآخر (باستخدام الاستعارات العرفية). ويحرص الكثير من الفاعلين السياسيين على توظيفها، لما تملك من قوة تأثيرية، وقدرة على إحداث تغييرات جوهرية في توجهات فئات شعبية وسلوكياتها. ولا يخفى أن هذا النوع يؤسس لأرضية مشتركة مع بعض شرائح المجتمع، وقد يقلصها مع شرائح أخرى. يتضح لنا ذلك مثلاً في التأييد الذي تلقاه استعارات خطاب العدالة والتنمية لدى بعض فئات الشعب المغربي، والرفض التام لدى فئات أخرى ترى لزوم التمييز بين المجالين الديني والسياسي.

غير أن ترصيع الخطابات السياسية بالاستعارات الدينية قد يكون استراتيجية تحركها الرغبة في الاستحواذ على الزعامة، خاصة إذا كان المجتمع يميل إلى ذلك. وفي هذا الصدد تقول سمينو: "ربما لا يكون استخدام السياسيين المنظم للاستعارات الدينية تعبيراً عن المعتقدات السياسية فحسب، لكنه يمكن أن يكون كذلك استراتيجية لتمثيل هوية المرء كقائد (محتمل)"[79]. وهذا الاستعمال المكثف لهذا النوع ليس سمة مائزة للخطاب السياسي المغربي، بل ظاهرة في الخطاب السياسي الذي ينتج في بقاع عديدة من العالم فـ" الاستعارات الدينية ذات مغزى خاصة بالنظر إلى الدور المركزي الذي يلعبه الدين في السياسة في مطلع القرن الواحد والعشرين[80].

79- إيلينا سيمنو، الاستعارة في الخطاب مرجع مذكور، ص. 232.

80- نفسه، ص. 232.

في ضوء تحليلنا يمكن أن نستخلص أن الخطاب السياسي المغربي مثله مثل "الخطابات السياسية التي أشار ربجيزيل إلى أنها تعج بصور ذات صلة بثلاثة أبعاد: بعد الشكل (نظام الحكم والنظام الأساسي المتعلق بالمعايير السياسية والمؤسسات والنظام) وبعد المحتوى (تدبير الشأن العام والحقل السياسي المتعلق بالتخطيط والتنفيذ الذي يخص تحديد المشكلات السياسية وتطوير وتنفيذ البرامج السياسية وتقويمها) وبعد السيرورة (أي المنافسة السياسية المتصلة بالصراع بين الفاعلين)[81]. لكن لماذا تشيع استعارات الرحلة والمرض والمناخ والجسد... إلخ في الخطاب السياسي الإعلامي المغربي؟

2-13- الاستعارة والرؤية الإيديولوجية

إن بعض المجالات التجريبية (الحرب والألعاب والحيوانات والأنشطة اليومية بصفة عامة) أكثر تحديداً وألفةً من الناحية الثقافية وأكثر إنتاجية[82] هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يختار الفاعل السياسي ما يخدم وجهة نظره، لأن الاستعارة نادراً ما تكون محايدة: فإنشاء شيء من خلال شيء آخر تنتج عنه وجهة نظر معينة حول الشيء موضوع التساؤل، وينطوي غالبا على اتجاهات وتقييمات معينة"[83].يحدِّد شيلتون ثلاث وظائف للاستعارة في السياسة، هي:

- القَسْر: التأثير في سلوكيات الآخرين من خلال إصدار الأوامر أو إصدار القوانين.
- إضفاء الشرعية وسحبها: يتصل بتأسيس أو تقويض مصداقية الآخرين.

81- Reisigl, M. (2009), Op. Cit, p. 882.

82- Rollo, A. Les métaphores dans le lexique économique: modèles culturels en œuvre.
www.dlls.univr.it/documenti/Avviso/all/all252956.doc. Visité Le 09-10- 2014.

83- إيلينا سيمنو، الاستعارة في الخطاب، مرجع مذكور، ص. 80.

- التمثيل [التقديم] وإساءة التمثيل: يتعلق باستدعاء وجهات نظر معينة للواقع. وهذه الوظيفة مركزية، لأن تأويل التعبيرات يشمل البحث عن التناسبات بين مجالات المصدر ومجالات الهدف/ مما يحرك آليات الاستدلال، والتقييم[84].

إن العلاقة بين الخطابات والإيديولوجيات تفاعلية[85]، فكلاهما يشكل الآخر ويكونه؛ فالإيديولوجيا تنتج عن ممارسات اجتماعية وخطابية لكنها تُقَيِّد تلك الممارسات، ومن هذه الزاوية فالأنماط الاستعارية التقليدية يمكن أن تكون مكونا مهما من الإيديولوجيا. وتتجلى هذه العلاقة، من منظور التحليل النقدي للخطاب، في كون استخدام الاستعارة [الدينية أو المسرحية أو الحربية ... إلخ] ذا نتائج على كيفية تأطير الموضوع، وعلى طبيعة الأبعاد التي توضع في الصدارة، وتلك التي تُنحّى للخلف، وطبيعة الارتباطات التقيمية أو الانفعالية التي يتم استدعاؤها[86].

إجمالاً، يمكن القول إن الخطاب السياسي المغربي يعج باستعارات عرفية تنهل من منابع متعددة كالحرب والرياضة والدين والمسرح والرحلة وغير ذلك. وهي مجالات ذات مرجعيات وأطر مختلفة تدلُّ على التحولات التي تعرفها الممارسة السياسية المغربية، ونوع النقاش الدائر فيها والرهانات التي تُرَسَم لكل خطاب؛ واللافت للنظر أن معظم تلك الاستعارات لا يصعب فهمه، ولا يتطلب أي جهد في تلقيه والتفاعل معه، إلى حد يصح معه القول إن الخصائص الإبداعية فيه امحت، بفعل الاستعمال والتداول من جهة، والتشابه بين استعارات الفاعلين مهما اختلفت اتجاهاتهم من جهة ثانية. ونرتب على هذا الاستنتاج السؤالَ التالي:

84- Chilton, P. (2004), op. Cit, p. 50.

85- إيلينا سيمنو ، الاستعارة في الخطاب، مرجع مذكور، ص. 204.

86- Fairclough, N. (1992), Discourse and Social Change, Cambridge, Polity Press.

إذا كانت الاستعارة تعبرعن تصور إيديولوجي ينطلق منه مُنتج الخطاب السياسي، فلماذا تتشابه، بل تتماثل العبارات الاستعارية في الخطابات السياسية المغربية بمختلف تلاوينها؟ ولماذا لا تختلف عن استعارات خطابات سياسة في أماكن أخرى من العالم؟

2-14- نهب الاستعارات

قد تبين من الاستقراء والتحليل أن الاستعارات التي تتواتر في الخطابات السياسية الإعلامية المغربية لا نجد فيما بينها كبير فرق، وتتشابه مع استعارات خطابات سياسية في أماكن أخرى من العالم. قد نفسر ذلك بوجود تصورات بشرية مشتركة، أي أن المختلف يكمن في العبارات فحسب دون التصورات الاستعارية. وقد نُفَسِّر ذلك بقَنَوات التواصل وآثار العولمة التي تجعل انتقال أو نهب الاستعارات أمراً قائماً.

سبق لأوليفيي روبول أن ذهب إلى أن لكل اتجاه استعاراته: " طبيعة المجاز تختلف تبعاً للإيديولوجيا"[87]. وقد استدلعلى ذلك بأن استعارات المحافظين مأخوذة من البيولوجيا (الكليةالعضوية والعائلة والعرق أو السلالة)؛ وذلك لأن الإيديولوجيا المحافظة تسعى إلى لحفاظ على الوضع القائم. أما فيما يخص الماركسية فتفضل استعارات من الديناميك اوالكيمياء (الجماهير= الكتل، محرك التاريخ= قوىوعلاقات الإنتاج) وهذا اللجوء إلى علوم المادة والحركة ليس عبثياً في فكر يريد أن يكون مادياً جدلياً[88].

لكن ما كشف عنه تحليلنا لاستعارات الخطاب السياسي المغربي غير ذلك، إذ إن التصورات الاستعارية مشتركة بين الفاعلين السياسين رغم اختلاف اتجاهاتهم وخلفياتهم

87- أوليفيي روبول، استعارات الخطاب الإيديولوجي، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. 1، 2005، ص. 111.

88- نفسه، ص. 112.

الفكرية والإيديولوجية - المعلَنَة بطبيعة الحال. بعبارة أدق إن خطاباتهم، وإن اختلفت في التحققات اللغوية، فإنها تسترفد من التصورات الاستعارية ذاتها.

نعم، لقد كان لكل مجموعة إيديولوجية موروثها الاستعاري (هناك استعارات لليبراليين، واستعارات للشيوعيين، واستعارات للديمقراطيين)، لكننا "منذ النصف الأول من القرن العشرين، شهدنا سرقة استعارات، بل نهبها. وفي الوقت الراهن نشهد رحلة غير منقطعة للصور والاستعارات من الإشهار إلى السياسة، من الرياضة إلى الفرجة، من العلم إلى الطب لتعود أخيراً إلى السياسة"[89]. وتُعَبِّر Francesca Rigotti بطريقة استعارية عن ذلك "إننا لا نتردد من نهب منازل الآخرين ونقل الغنيمة"[90].

غير أن هذا النهب ينم عن شيء آخر هو أن الاستعارات، إن عرفنا قراءتها، قد تكشف عن التشابهات والتماثلات الخفية بين الإيديولوجيات المختلفة وحتى المتناقضة[91].

3- الاستعارة وتغيير الواقع السياسي

السؤال الذي يفرض نفسه علينا بعد التحليل وإبراز دور الاستعارة التصورية هو: هل يمكن تصور إمكانية تغيير العالم السياسي باقتراح مسارات استعارية بديلة؟

نتفق مع عماد عبد اللطيف حين أكد أن ملاحظة التعبيرات الاستعارية وعمليات الصياغة المفهومية تجعل الفرد قادراً على التفكير بطريقة نقدية. لكننا لا نتفق معه، حينما ذهب إلى أن " جزءاً من حلمنا جميعاً بتغيير العالم الذي نعيش فيه

89- Rigotti, F. (1990), La théorie politique et ses métaphores In Revue belge de philosophie et d'histoire, Tome 68 fasc.3, Langues et littératures modernes- Moderne taal en letter Kunde, p. 552.

90- Ibid., 553.

91- Ibid., 554.

قد نستطيع إنجازه بوساطة تغيير الاستعارات التي نستخدمها في وصفه وتحليله"[92].
فالأمر في نظرنا أعمق من ذلك، ولا يمكن أن نحصر دينامية الحقل السياسي في طبيعة الاستعارات التي نوظفها فقط.

3-1- بين ستيفان بينكر وجورج لايكوف

لقد أثار هذا السؤال المتعلق بدور الاستعارة التصورية في الحقل السياسي سجالا عميقاً بين ستيفان بينكر Steven Pinker وجورج لايكوف. وكان مدار النقاش بينهما: هل تُوَجِّهُ الاستعارة آراءنا السياسية، وأفكارنا بصفة عامة؟

تعود أصول هذا النقاش إلى 2006 بَعْدَ إصدار جورج لايكوف كتابه " Whose freedom ?"[93] مدافعا فيه عن دور الاستعارات في السياسية، ومقدماً فيه نصائح حول استعمالها، داعياً الحزب الديمقراطي إلى استعادة الهيئة الناخبة استناداً إلى توظيف استعارة الدولة\ أمّ مُرْضِعٌ، بدلاً من استعارة الدولة\ الأب التي تكشف عن ميولات المحافظة.

وقد كتب ستيفان بينكر مقالاً بعنوان "Block That Metaphor"هاجم فيه كتاب لايكوف وشَبهه بكارثة قطار، وآخَذَه، من بين أمور عدة على لهجته التبشيرية، وتحليلاته السطحية، وأوصافه الاعتباطية. فما أساس هذا الاختلاف بين هذين الباحثين؟

إذا كان لايكوف يرى أن الكائن البشري يفكر بطريقة مجسدة وأن مفاهيمه تلد من العلاقات بين الجسد والمحيط، فإن بينكر يدافع عن فكرة مؤداها أن البنيات الذهنية تنمو تحت ضغط إكراهات التكيف مع الوسط\ المحيط، مما يجعل الفكر

92- إيلينا سيمنو، الاستعارة في الخطاب، مرجع مذكور، ص. 15.

93- صدر هذا الكتاب للايكوف

- George Lakoff, Whose Freedom? The Battle Over America's Most Important Idea New York: Farrar, Straus and Giroux, 2006.

يخضع لتركيب معين (يتحدث لغة ذهنية معينة)؛ ويرى هذا الباحث أن البنيات اللغوية التي تبدو اعتباطية، تخضع لقواعد تركيبية خفية تشكل منطقاً مجردا للذهن.
واستنادا إلى هذه الفرضيات سجل على لايكوف ما يلي:
- إ ذا كان الكائن البشري يفكر أساساً بطريقة استعارية، أفلا يعني ذلك إقصاء العقلانية؟ وهل من العقلاني التصويت لحزب سياسي بحسب امتثاله لصورة "أمٍّ مُرضِع"؟
- هل تعني المكانة المركزية للاستعارة في التفكير أن الكائن البشري غير قادر على التجريد، ولا يستطيع التفكير إلا اعتماداً على الملموس والمُجَسَّدَن؟
- إذا كان كل شيء استعارة، فهل سيبقى لمفهوم الحقيقة معنى؟ ألا تكون أفكارنا سوى نتيجة "منافسة جمال بين الاستعارات"[94].

نستخلص من مناقشة بينكر لآراء لايكوف أن الآلية الاستعارية، رغم حضورها الدائم في الخطابات والسلوكات، ليست العملية الذهنية الواحدة، فهناك عمليات ذهنية عقلانية مجردة، لا تخضع لمبدأ المقايسة والتناسب؛ ومن ثم فمن الساذج، في نظر بينكر، أن نظن أن تغيير استعاراتنا سَيَحَسِّن من سياستنا، ومن أداء سياسيينا.

خاتمة

إذا كانت الاستعارة ضرورية ولا محيد عنها في الخطاب، لكونها توفر سبلا تجعل المجردات قابلة للفهم، أو للإقناع والتأثير عن طريق إبراز مظاهر وتنحية أخرى، فمن الضروري أن يَعمد المُحلِّل إلى أدوات علمية في اسْتِكْشاف استخداماتها وآثارها، ما دام

94-Sandar, E. et Hofstadter, D, (2010), La vie politique est-elle un concours de metaphores In scienceshumaines, n° 215 – mai.

الفهم العلمي لتوظيفاتها يقدم إشاراتِ حولَ ما يقوم به البشر، حينما يستدلون حول السياسة[95].

طبعاً، للاستعارة، كما بيّنا في هذه الدراسة، دور حاسم في تبسيط المفاهيم، بيد أنه يجب ألا نتوهم أن السياسة ستغيرها الاستعارةُ وحدها.كما ينبغي تجنب الإفراط في تبسيطِ للتمثيلات يَقودُ إلى نظرة فاسدة للواقع؛ وهو مايسميه جاميت الانحرافات السياسية الكامنة للاستعارة. من هنا ضرورة استعمال هذه الأداة بكيفية مناسبة ودقيقة من جهة، والانتباه إلى الانحرافات الكامنة فيها من جهة ثانية. وقد أشار إدغار موران إلى أهمية الالتفات إلى هذا الحضور الدائم للاستعارة في خطاباتنا قائلاً: " أَنَا لا أقوم إلا بإنشاء استعارات وأنا على علم أنها استعارات؛ وهذا أقل خطورة من إنشاء استعارات، بدون علم بذلك"[96].

ببليوغرافيا

أ- اللغة العربية

-البوعمراني محمد صالح، في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2009.

-روبول أوليفيي، استعارات الخطاب الإيديولوجي، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. 1، 2005.

-الزناد الأزهر،

- النص والخطاب، مباحث لسانية عرفنية، مركز النشر الجامعي ودار محمد علي للنشر، منوبة تونس، ط. 1، 2011.
- نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط. 1، 2010.

95- Chilton, P. (2009),op. Cit, p. 624.

96- Morin, E. (1990), Introduction à la pensée complexe, Paris, Ed. ESF, coll, Communication et Complexité, p. 153.

-الساسي محمد، إنقاذ المغرب، جريدة المساء، العدد،912، 03 شتنبر 2009.
-سليم عبد الإله، بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقاربات معرفية، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، ط. 1، 2001.
- العاقد أحمد، المعرفة والتواصل عن آليات النسق الاستعاري دار أبي رقراق للطباعة والنشر الرباط، ط. 1، 2006
-لايكوف جورج ، حرب الخليج أو الاستعارة التي تقتل، ترجمة عبد المجيد جحفة، عبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. 1، 2005.
-لايكوف جورج وجونسون مارك، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. 1، 1996.
-المساء، العدد، 650، 25 دجنبر 2014.
-مفتاح محمد، مجهول البيان، ط. 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1990.
-المسدي عبد السلام، السياسة وسلطة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط. 1، 2007.
-المصباحي محمد، هل يمكن الكلام عن " الحق" في الكذب في المجال السياسي؟ في فلسفة الحق كانط والفلسفة المعاصرة تنسيق محمد المصباحي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات، رقم 143، ط.1، 2007.

ب- اللغات الغربية

-Balibar-Mrabti A. & Conenna M. (éds) (2002), Nouvelles approches de la métaphore. Langue française 134.
-Chilton, P.
-(2009), Metaphors in Political Discourse, In Concise Encyclopedia of Pragmatics, Second Edition, Editor Jacob 1 Mey, University of Southern Denmark.

-(2004), Analyzing Political Discourse: Theory and Practice. London and New York: Routledge.
-Fairclough, N. (1992), Discourse and Social Change, Cambridge, Polity Press.
-Fauconnier, G. and Turner, M.

-(2004), Conceptual Blending, Form, and Meaning, In Pierre Fastrez, ed. Cognitive Semiotics, special issue of Recherches en Communication, no. 19.

-(2002), The Way We Think: Conceptual Blending and the Minds's Hidden Complexities, New York: Basic Books.

-Gingras, A-M. (1996), Les métaphores dans le langage politique, In Politique et sociétés, n° 30.

-Grady, J. (1997), Foundations of Meaning: Primary Metaphors and Primary Scenes, PhD dissertation, University of California. Berkeley.

-Jamet, D. (2006), Les dérives potentielles de la métaphore: essai de typologie In Denis Jamet, Dérives de la métaphore, Oct, Lyon, France. L'Harmattan.

-Kovecse, Z. (2010), Metaphor A Pratical Introduction, Oxford University 2 Ed.

-Maalej, Z. (2007), Doing critical Discourse Analysis witth Contempary Theory of Metaphor: towards A Discourse Model of Metaphor, in Cognitive Linguistics in Critical Discourse Analysis: Application and Theory, edited by Christopher Hart and Dominik Luke.

-Meyer, M. (1991) « Introduction » in Aristote, Rhétorique, traduction de C.-E. Ruelle, revue par P. Vanhemelryck: commentaires de B. Timmermans, Paris, Coll. « Classiques de la philosophie », Le livre de Poche.

-Morin, E. (1990), Introduction à la pensée complexe, Paris, Ed. ESF, coll, Communication et Complexité.

-Nothomb, A. (1992), Hygiène de l'assassin, Albin Michel.

-Orthony, A. (1975), Why Metaphors are Necessary and Not Just Nice, in Educational Theory 25.

-Reisigl, M. (2009), Rhetorical Tropes in Political Discourse, In Concise Encyclopedia of Pragmatics, Second Edition, Editor Jacob 1 Mey, University of Southern Denmark.

-Richardt, S. (2005). Metaphor in languages for special purposes: The function of conceptual metaphor in written expert language and expert-lay communication in the domains of economics, medicine, and computing. Frankfurt am Main: Peter Lang.

-Rigotti, F. (1990), La théorie politique et ses métaphores In Revue belge de philosophie et d'histoire, Tome 68 fasc.3, Langues et littératures modernes-Moderne taal en lette Kunde.

-Rollo, A. Les métaphores dans le lexique économique: modèles culturels en œuvre, www.dlls.univr.it/documenti/Avviso/all/all252956.doc. Visité Le 09-10- 2014.

-Sandar, E. et Hofstadter, D. (2010), La vie politique est-elle un concours de metaphores In scienceshumaines, N° 215 – mai.

-Sontag, S. (1993), La maladie comme métaphore (Traduit de l'anglais Illness as Metaphor, Susan Sontag, 1977, 1978), Christian Bourgeois Editeur.

-Van Dijk, T. (1997), What is Political Discourse Analysis? In Jean Blommaert and Chris Bulicaen (Eds), Political Linguistics, Amsterdsm: Benjamin.